سارة مصطفى ابراهيم

غيث

دار البشير

ضياء
t.me/twinkling4

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

اهداء

إلى الذين سُلبَ منهم حقُّهم في التوجّع.

أَلـمٌ عـلى أَلـمٍ ومِثْلِيَ يَـأْلَمُ

حُزْنٌ يزيــدُ وعَبْـرَةٌ تتمنَّعُ

نَصَبُ الرَّزَايَا أن تَؤوبَ مقتلًا

في كـل شِبْرٍ صـارِخٌ يتوجَّعُ

وتَخُوضَ أَلفًا بعد أَلفٍ نَازِفًا

بجسَارَةٍ والرُّوح كادتْ تُنزعُ

تَهَب المَطَايَا مــا يُزكِّي نَارَهَا

فَتكونُ خَيلًا للمَعالِي تُهْرَعُ(1)

---

(1) الكاتبة

(١)

عزيزي غيث:

أكتبُ إليك وأنا على قيْدِ التّماثل للحياة...

مازلتُ أقاوم، ومازال بروحي قطراتٌ من حياةٍ تحاول أن تسقي أيامي البُور...

مازلتُ أتحلّى بالصبر الذي سَئِمَ منّي، فطلّقني ثلاثًا، فتمسكت بمؤخّرة ردائه يحْدوني بضعُ أمل أن يستحيل القَفرُ ينوعًا!

ها هي القطراتُ تتابع، فهلّا نظرت؟

لقد حكْتُ تنّورة باخضرارِ الربيع الذي أرجوه، قصيرةٌ هي، لكني أعدك أني سأجرّها خلفي يومًا!

حكْتُ أخرى لأختي، كانت أوّل إنجازٍ لي، وسعادتي به فاقت كلّ إحباط وضجر.

وأمّا عن مُعلّقتي الأثيرة؛ تلك الأقربُ لروحي، فقد اجتزت فيها الثلاثين بيتًا حفظًا وفهمًا، ولا تحتاج أنْ أهمس «قفَا نبك»(2) فصداها يتردّد ما بين روحينا!

وعن ألحاني... فتسكرني معزوفةُ عبد الرحمن بعدَ شطر المتنبي:

«أنا الغريقُ فما خوفي من البلل...»

«يا يوسفًا في حزنِه من أغرقك.. لا تنتظر ركبَ العزيز لينشلك.. أنتَ الغريق.. وأنتَ حبلُ الله لك».(3)

يقول: يوسف، فكأنّه نطق اسمي.

أنا الغريقُ في الحزن، أنا المحبوسُ في البئر، أنا السيارة، وأنا الحبْل!

أنا هُم، ومازلتُ أتقلّب بين جميعهم، ويْكأنّي أغمرني في الماء حدّ الاختناق، فأرفعني، فأتنفس الهواء، فأكبّني من جديد، لكنّي أعدك ألّا أطيل الانكباب.

٢٥/٤/٢٠١٧

---

(2) معلقة "امرؤ القيس"

(3) «المتنبي»، «يا يوسفا»: لعبد الرحمن غنم.

(٢)

عزيزي غَيْث:

نسماتُ الواحدة بعدَ منتصف الليل تلفحُ وجهي، وشعورٌ مبْهم يتَغلْغَلني.

تلك الحالةُ الرّمادية التي لا أهتدي فيها للفهْم عن ذاتي...

أشعرُ بالثّقل والخواء في آن.

يلَعْثمان أحْرفي، يجعلانِها تتردّد في حلقِ قلمي، فيغصّ بها ولا تخرج..

تتشابكُ هي هناك، وتتنازع، ولا يهتدي هو لفكّ شفراتها، وحلّ عُقدة القلب!

تسألني ما إنْ كانت الوحدةُ تغرقني في لُجَجِها؟

وأحارُ أنا بين نعمٍ ولا...

ربّما أنا غارقة بسكينةٍ تبقي أنفاسي على قيْد الحيرة!

وها أنا أسألك..

أمَا مِن شاطئ لذاك البحر المترامي؟!

أمَا مِن ضربةٍ صائبة أثناء خبط عشواء؟!

وما أسمعُ لك جوابًا سوى صمت تحفّه أنجم لامعةٌ تفهم

عنْك وتسرّ لي، أو تسرِّي عني!

٢٥/٤/٢٠١٧

(٣)

عزيزي غيث:

الخَوْف اتّخذ من روحي مملكةً لرعيّته بعد تزاوجه والحزن!

أنجبَا بنتًا بعينيْن زائغتين، وقلبٍ وَاجِفٍ أسموها «قَلَق».

وولدًا بقلبٍ ميت وروحٍ لا مبالية أسموه «اكتِئاب»!

شَاخَ أبواهما داخلي، فتنازعَا على عرش روحي، واحْتَدَمَت المعارك!

ومِن الدّماء النازفة لكليْهما نبتتْ شجرة السّوداوية بفروعها العارية إلّا من الشّوك.

وكما هي المصائبُ تُسْقِط أقنعة الزَّيف، وتَفْجَعُنا بوجه الحقيقة الشَّائِه.

تغَلْغَلَت الشجرةُ بأعماقي، وتغلغلتْ حقائقها بِوَخْز الشوكِ تارة، وبمرارة الحَنْظَلِ تارة أخرى.

لكنّ الخَطْب جاوز حَدَّ التَّفَجُّعِ...

أَفَتُلقِ نظرة؟

أمْ تراك اكتفيتَ ببوْح شواهِد القبور عن فداحةِ حربٍ دَفَنتُ فيها أبْضَاع روحي؟!

لكنْ لا بأس.. لا بأس أبدًا.

فمازلتُ أخوض غمارَ الحياة، وكأنّ لا وحشَ رابض بأعماقي، يلتهم الأمانَ وجبةً دسمة تتخمُ بها معدته، ويَذَرُ روحي مُقْفِرةً منه!

٢٨/٤/٢٠١٧

(٤)

عزيزي غَـيْـثْ:

نَخَرَ الألَمُ قلبي وروحي فأحالَهما قَفرًا، وأنا أقفُ في دوّامة من الخَواء تكاد تبتلعني..

أتساءل: لمَ كنت بتلك العاطفة المُـتَّقِدة؟!

لِمَ لَم أكنْ تلك العقلانية التي تتأثّر.. لكنْ بلا عمق، تشعرُ.. لكن لا يصيبها شعورٌ بمقتل؟!

إنّني حتى أفوق العاطفيّين عاطفة بدرجة منهِكة!

الانغماسُ في الشعور حتى الثُمَالة ليس بذاك الجمال، إنّه موت...

موتٌ يهبُ الحياة لحرف!

الكتابةُ ما هي إلّا انبِعَاثُ روائح حرائق أكلت خضرة روحي ويابسها!

عندما أكتب، فأنا أتَلظَّى بالجمود أحيانًا، وبفَورَان الحِمَمِ أحايين، ولكلّ منهما وَطأَة تفوق الأخرى.

فإنْ لم يكنْ من الحياة بُدّ، فلا أتمنى شيئًا أكثرَ من العيش في غابة، أو صحراء، أو قربَ بحرٍ مع دفاتري وأقلامي...

وليذهبِ البشرُ للجحيم.

١٦/٥/٢٠١٧

الحياةُ كرَحَا حرب يَظفَرُ فيها مَن تعلم فنونها وأَعدَّ العدة ومضى بروحِ مقاتل لا يَهَابُ الطَّعن، فظَفَرُه نيشانُ فخرِه، وهزيمته صَقلًا لروحِ القتال فيه.(4)

---

(4) الكاتبة

(٥)

عزيزي غيث:

يقولون إنّ الحياة انسياب، وأنا أراها مَحْضُ حرب.

حرب؛ تخوضها ضدّ كلّ سَدّ قرّر- بعنجهية- أن يعترضَ مَجْرَاك، ويقف مُتَغَطرِسًا أمام انسيابك.

الجميعُ يُشهر سيفَه بوجهك، مُدَّعِين أنّ الأرض أرضهم، وما أنتَ إلّا مُعْتدٍ جَائِر!

بارعون هُم في طَمْسِ الحقائق، وَلَيْ أعناق اللا معقول ليبرز في شكل منطقي يودي بعقلِ ذوي البصيرة لحافة الجنون.

حرب؛ تخوضها ضدّ نفسِك كي تفيق بعدَ كلّ تهاوٍ، وتقاوم بعدَ كلّ ضعف، وتظلّ شَامِخة أمام تَلَاطُم الأَنوَاء.

تقاوم ألمَك المُقْعِد عن المسير، وخوفك الرَّابِضْ من تعثرٍ، وزَيْغٍ عن السبيل.

حرب؛ تخوضها ضدّ أرضك التي تَسلَّط عليها رِعَاع، سالبينك ما منحك اللهُ إيّاه من كرامة.

وطنك الذي لا تشعرُ بالانتماء إليه، يوقظُك كلّ صبيحةٍ على ذبح بضع روحك، فلا يترك لك فيها موضعَ حياة!

وطنك الذي يهدرُ حقّك كإنسان، فيعاملك كحشرةٍ

بغيضة مُزعجة يدهسُها بسلاسةٍ دون أن يرفّ له جفن.

وطنك المُمْعِن استمتاعًا بتلوّيك قهرًا، وزئيرك سِرًّا بمقابر روحك.

١٩/٦/٢٠١٧

(٦)

عزيزي غيث:

بينَ لُجج البلايا لا تحمّلُ نفسَك ما لا طاقة لها به، فقط كنْ بالجوار، باثًّا الأمن بعدَ هجمات الخوف..

واعلم أنّ روحي لن تُهزم أبدًا!

رغمَ الأيادي التي ألقَتها، وتخلت...

رغمَ القلوب التي استأمنتُها، فنكثت...

مازلت أذكرُ أصدقاء الصّفوف الإعدادية قبلَ كلّ امتحان، لطالما ردّدوا «يوم الامتحان يُكرم المرءُ أو يُهان!» أمّا أنا فكانت روحي تردّد «بل يوم الامتحان يُكرم المرء أو يُكرَم».

ليسَ ثقة، بل لا خيار...

فليستْ روحي مَن تُهان، ولا تقبل لذاتها تخلٍّ أو نكوثًا عن عهد.. عن طريق.. عن أن تكون.

هي متّكئي بعد كلّ عرج.. خور.. سقوط.

هي عصاي التي أتوكّأ عليها، وأهشّ بها على سِنِي عمري؛ خشية شرود، أو اغتيال ذئب..

هي قوّتي وجيوشي في مُجابهة الحياة، وأنعم بها مِن قوة، وجيش، وخلٍّ لا يخذل.

فقط.. كنْ بالجوار، وكفى بتلك منّة!

فقط.. كنْ بالجوار، أكنْ لك من الشاكرين.

٩/٧/٢٠١٧م

(٧)

عزيزي غيث:

أكتبُ إليكَ وأنا على حَافَّةِ الهاوية، مُخَلِّفةً وراء ظهري شبابًا حُلُوًا خَضِرًا انتُزِعَ من رَوحي انتزاعًا...

الارتفاعُ شاهقٌ جدًّا، لطالما سقطتُ من علٍ، وكان الارتِطَامُ مدوّيًا في كلّ مرّة، لكن هذه تختلف...

سألقي نفسي بإرادتي الحرّة، وسيُحييني السقوطُ هذه المرة!

العالمُ لا يستحقّ وداعي، فهوَ لا يحتَفِي بحياتي ليزلزله موتي..

العالم غبيّ ساذجٌ! يحفل بالنّمطيين الدائرين في فَلَكِه كآلةٍ بغِيضَة تعمل بضغطة زِرّ، يقدرهم، ويمنحهم المناصبَ والنياشين، فأنَّى لمثله أن يدركَ فداحةَ مغادرة المبدعين أمثالي.

حسنًا، لا يهمّني عضَّ أصابع النّدم، أم لم يبالٍ، فمثله لا يستحقّ الاهتمام من مثلي..

فقط.. أحببتُ أن ألقي على حَامِل أثقالي السَّلام، ولتتخفّف.

٦/٨/٢٠١٧

(٨)

عزيزي غيث:

في تلك اللّحظاتِ الحالكة تتغلغلُ الوحدة مسامّي، فتملؤني عنْ آخرِ آخِري، كإسفنجة أتشبّع، ولا أكاد أبين...

أضمّ ذراعي حولي لأخبرَ ذاتي أنّي هنا معك وإنْ تخلى الجميع، وأتمنى ألّو استنسختُ من نفسي أخرى لأتمكّن من احتضاني، وبثّ الأمان بداخلي؛ لأشعر تمامًا أنّ ثمّة مَن يسبرُ غوْري، ويتلمّس أدقّ تفاصيلي، فيشدّ من أزري.

أنا ذاك البحرُ الخضمّ المتلاطم، الذي ما تلبثُ أمواجُه أن تضرب بعضها بعضًا حتى تتلاشى، ويْكأنّها لم تولد!

أنا ذاك البحرُ المكتظّ بالدّر، وما مِن غوّاص خاضَ عبابه ظافرًا بمكنونه.. مازال وحدَه يصارع أمواجَه، وتقلباته، ويطوي اللؤلؤ في أحشائه.

أنا حربٌ ضارية اشتعلتْ منذ زمن، ولم تضعْ أوزارها...

حربٌ أنا ساحتُها، و الزائدُ عنها، والخصم فيها!

ها أنا جاثية أتلفّت بين أرْوقتي بأعينٍ زائغة، وقلبٍ مُنهك يتمنّى هدنة مع الحياة ليستردّ قوته، فيبعث من

جديد .

١٦/٨/٢٠١٧

(٩)

عزيزي غيث:

الحروفُ تثَّاقل من كثرةِ ورودها المعاني؛ تغْدو ذات خبرة بآلام البشر...

تحدّثني:

أنّ الألَمَ نعمة؛ يعيدُ تشكيل ذواتنا بنسقٍ متفرِّد، يخلع عنّا كلّ لِباس زيف، ويخرج من رحمِه عصارةَ روح أَبِيَّة ذات نكهاتٍ مفعمة بالحياة.

أنّ آلامَ القلب وجراحَه لا تنزع عنِ الإنسان الشّعور، أمّا الألَمُ الجاثم في المخّ فإنّه ينزعُ عنك شعورَك، ويحيلك لآلة صمّاء.

الألَمُ يشدّ عودها، فتغدو أكثرَ نضجًا...

تقول:

إنّ الانحسارَ في الماضي يعوق شغفَ المدّ للمستقبل، يجعلك خائرًا تنتظر اقتلاعًا من أوهامٍ لرحابة أوهام أخَر!

وأنّ روحك- تلك التي نفخ اللهُ فيها من روحه- رحبةٌ لا تقبل التأطير.

إطلاقها لتعزفَ المقطوعات على عدّة نوتات، قد تتقاطع.. قد لا تتلاقى، لكنّها في كلّ حينٍ ستضجّ

بالحياة، بين بعثرةِ الأوجه، وبهاء الخروج عن المألوف، وروْعة التحليق، ونشوة الجموح.

وأنّه مهما ضاقتْ بك السبل، وأقفرتْ فيك الروح، فرأيت في الموت سكنًا، وتمنّيته بقدْر اليأس المُعترك داخلك، فإنك لن تنالَ الموت أبدًا إلّا تحت أنقاضك الدّاخلية.

وأنّك مهما امتلأتَ بالأمل السّاذج، المتكئ على شعاراتٍ واهية، لا تنزل بها لساحةِ الجدّ والعمل، فإنّك لن تحيا أبدًا إلّا تحت ركام أوهامك.

تقول:

إنّ السعي مُفضٍ لبلوغ الورد، وإنّ لكلّ علة ترياقًا، فنقّب عن مكامنه؛ علك تحيا.

٢٨/٨/٢٠١٧

(١٠)

عزيزي غيث:

تعصفُ بي رياحُ الحنين لتقلّ سحابة أحْرفي لمنزل جدّتي لأبي، تودّ أن تمطر هناك.

تلك الذكرياتُ المخبوءة بسراديبَ بعيدةِ الغور.. شديدة الوعورة، تحدثني نفسي للنّزول إليها...

الجوّ خانق جدًّا، والرّطوبة تعجّه، لكنّه رغم ذلك جميل، جميل جدًّا.

على يسارك بعدَ دخولك الباب تقع غرفة جدتي...

كانت مرفأ لكلّ زائر، وكنت أجلسُ على مقْربة، تلتقط أذني جميعَ الحكايا، وأستمتعُ جوارها بالكثيرِ من الثرثرة، والأسئلة المعبّقة بالدهشة!

وعلى الرفّ المجاور للباب ستجد قلمًا مزيّنًا وجميلًا رغم تتابع السنين، قد كان هديّتي من معلّمة الصف الأول؛ لاجتيازي اختبار الإملاء بعلامة كاملة، بالطّبع هرولت يومها حيث هي؛ لأريها ما حزت عليه.

وإذا ولّيت الباب ظهرك، وخطوتُ بضع خطوات، ستكون على مقربةٍ من الشّرفة، وأصيصي الزرع اللّذان رافقا انتظاري لعودتها من السوق محمّلة بكلّ ما لذّ وطاب.

ذاكرةُ الطفلة معبّقة بتفاصيل الجدة، قد كانت تحبّ الطيور، وسطح منزلنا خيرُ شاهد، وبعد تساقط أسنانها كانت تأكل الطماطم والخيار المقشر.

وحينَ احتجزت بالمشفى لم تكن تحبّ الطعام المقدّم لها، وإن ألححْنا تتذمّر آكلة الفتات، وعين الطفلة كانت تراه شهيًّا، وتتعجب لمَ ترفض طعامهم، لكنها على أيّة حال لم تكنْ تسأل.

وإذا انتقلتُ لآخر ذكرياتي مع تلك الشرفة، فستلمح ابنة السادسة هناك تراقب بلا شعور نعشَ جدّتها القادم بها من المشفى التي احتجزت فيها لشهور، وستسمع بوضوحٍ صراخَ الجيران، وهرولتهم، ومن ثمّ تزاحمهم على منزلنا...

وها أنا أصعدُ للأعلى مغلقة السردابَ على أكوام الحنين، وتلال الذكرى، وأطنان الألم.

يا عزيزي: النهاياتُ في الواقع لا تكون سعيدة أبدًا، لكنّ الطفلة كانت تدعو لها كلّ صلاة بـ «يا رب، ارحمْ تيتا ودخلها الجنة».

٢٨/٨/٢٠١٧

(١١)

عزيزي غيث:

عِمْتَ مساءً!

وبعد،

فإنّ المعاني تَكُرُّ كجواد امرئ القيس، وهَزِيم الأحرف كغَلْي المراجل.

الليالي متقلّبة كأمواج بحر، إلّا أنّ نجومها لم تُشدّ بمُغَار الفَتْل إلى يَذْبُل.

الأيامُ حُبلى تعاني ألَمَ المخاض منذ أمدٍ بعيد، والشمس حارقة للدروب، والأحلامُ تهرول مِن بين أيدينا خشية اللهيب.

الصّخب! الصخب غارات داكّة للروح، ودوامة لا تكفّ عن الدوران واستنزاف المُنهَك.

الكلابُ نبّاحة لاهثة من السُّعار، والذئاب تَفْتَرُّ عن دم سيّال، ووحوش وَجْرة خائفة تترقب بلا قرون ولا أنياب..

الموت مُسترخٍ على بساط الحرير، بطنُه مُتخمة، وصنوف الحُتُوف على قيد الانتظار..

أمّا الحياة، فباعتْ أرواحنا مقابلَ صكوك الأمان! وها هي تتخفى برداء الموت تتغلغلها الذلة والصَّغار..

الأفاعي تتلوّى وتبخّ سمّها الملعون، وذوو الجهالة بسمومها منتشون، وذوو العقول في مطاوي التيه يهيمون، وذوو البصيرة في الأغلال يرسفون.

السنون كبرقٍ وامضٍ ما يلبث أن ينير فيغيب، وأنفاسنا تتقطع بين خطوب عاصفة، وسنين جارفة، وأعمار مثقلة منهوبة.

الأحرفُ نازفة، والمعاني مقهورة، والمسكوت عنه مرّ المذاقة، وعزاء الأرواح لطفٌ خفي.

١٧/٩/٢٠١٧

(١٢)

عزيزي غيث:

أتعلم..

إنّني أغبط أولئك الذين يتآكلون، فتثورُ عليهم أجسادهم بالانهيار، أو تفضحهم انْفعالاتهم، وملامح وجوههم.

إنّني أموت! وثمّة حرب في عقلي تقتلني من الداخل، بيدَ أنّ ملامحي كحجرٍ صوان يلطمُه الموج، فينزلق الماء عنه بسلاسة تامّة.

أنا حجرٌ صوّان، وأوجاعي بحرٌ لجّي مُعترك في الداخل.

يداي ملطّخة بالدماء كأيديهم!

أنا ضحيةُ نفسي قبلَ أن أكون ضحيتهم..

أنا قدّمتني لهم كقُربان، ومحاولاتي كلّها في الانتصار لذاتي تبوء بموت جديد..

أنا أقاوم، لكنّ المعاولَ أشدّ من محاولاتي المستميتة الواهنة..

مُستمية؛ بقدْر اليأس واللا جدوى.

واهنة؛ لأنّها مهْما بلغتِ الذّروة لا تجاوز النطاق..

أنا مركزُ دائرة، كلّما حاولت الفِكاك أجدني عالقةً بحوافّها كأحد الأقطار، حتى في مقاومتي أشبه الحجر الصلد..

تحاولُ الحفرَ علّ فيه الغوث، فلا تجدُ على صفحته أثرًا لمحاولاتك..

تحاولُ أكثر، فيتفتّت الحجر. فتتكسر أنت!

أنا أشبه ما يكون بمَن يحقن نفسَه بالهيروين، ظنًّا منه أنّ فيه خلاصه، بيدَ أنّ نشوتَه لا تتعدّى لحيْظات؛ لينزلقَ بعدها من جديد.

أنا أتعاطى الوهمَ تلوَ الآخر...

أمارسُ على عقلي التغييبَ قسرًا لأخوض غمار الحياة البائسة، لكنّ أوهامي ما تلبثُ أن تنهارَ فوقَ رأسي، فتصفعني الحياة من الجديد بـ

ضعيفة... جبانة... لا تقدرين.

لا يريحني الوهم، وأدركُ جيدًا أنّي أخادع نفسي، وتقتلني الحقيقة، وفي الحالتيْن أنا لا أكفّ عن اللهاث خلف الحياة..

الحياةُ التي تقودني خلفّها بساديّة، وكأنّ لهاثي ضريبتُها على أنفاسي التي مازالت تتردّد رغم كلّ الخور.

١٢/١٠/٢٠١٧

(١٣)

عزيزي غيث:

حتّى تلك العاطفة التي كنتُ أكتبُ لك بها نضبتْ، فقدت تلك الرغبة في مراسلتك، لكنّك تعلم وتُقِل العَتَب.

تعلم أنّ الأمر خارجٌ عنّي، تعلم أنّي مُفرطة التقلب، وأنّ ذاك القلب- آهٍ منه- لا يكفّ عنِ الاحتضار.

٢١ يناير ٢٠١٨

(١٤)

عزيزي غيث:

أصبحتُ طويلة الصمت بين أحرفي، تعلم أنني لا أحتمل كتمانها ولا تقييدها، ولكنّي بتّ أخشى البوح، أخشى انسيابها على الأوراق، وأطمع في هدوء مؤقّت.

ها أنا أضحكُ ساخرة، هدوء.. وأيّ هدوء يناله مثلي!

الكتابة نكْءٌ للجراح، واعترافٌ ضمنيّ بالألم، وأنا على ما يرام تلك مزحةٌ سخيفة نخدع بها أنفسنا لتمرّ الأيام.

الحقيقة أنّ أكثر الأشياء قربًا تفقد روحها، بل أنا مَن أفقد روحي التي تألفها وتتخلّلها.

ألمْ أقلْ لك إنّ الكتابة نكء للجراح، واعترافٌ ضمني بالألم؟! أضفْ أيضًا أنّها... لا بأس نسيتُ كعادتي ما أودّ قوله، فالأفكارُ متشابكة متلاحقة، وأنا أكتب فكرةً، وعقلي يُملي عليّ فكرة أخرى!

هذه الرسالةُ فضلت أن أعودَ فيها لزمنٍ مضى، كنتُ فيه لا أعرف الكتابة إلّا على الأوراق، لم أكنْ أعرفها إلّا بالقلم، زمنٌ ليس ببعيد لو أنّ السنين تقاس بعددِ الأيام والساعات، منذُ ثلاث سنوات فقط.

أنا أثرثرُ في أيّ شيء! بالطبع لا تخفى عليكَ تلك الحيلة، أحبّ أن أحوم حول ما أودّ أن أفصحَ عنه، فلا أنا

بحثُ ولا كتمت.

أخشى الخوضَ فيما يحتلّني، مع أنّه لفرط ملازمته أصبح منّي، تنهيدة مثقلة، ورفعت القلمَ عن الورقة، أبقيتُه معلّقًا في الهواء؛ كيلا يشي بي للأوراق.

أقول لنفسي: هدأ بالُك الآنَ بعدَ أن أثرت الساكن، واستعلنت الكامن!

وأراك تخطّ أنّ الكتابة نكء للجراح، واعترافٌ ضمني بالألم، بيدَ أنها تبعثنا أحياء.

١/٣/٢٠١٨

(١٥)

عزيزي غيث:

سهلٌ مطالعةُ الأفكار المنسابة، والانتقالُ من بوحٍ لبوح. ومُضنٍ أن تحدوك الرغبةُ في قول شيء لا تدري كنْهَه، أن تبدأ في كتابة رسالة تشعرُ أنك في أمسّ الحاجة إليها دونَ وقوفك على أي فحوى.

ها هي الحروفُ تستنطق صمتي، وعبثًا تحاول ملء الخواءِ المائج داخلي.

عجبًا لمَن ينهكه الزخمُ ويضْنيه الفراغ! وهو ما بينَ هذا وذاك مشتّت ضائع.

تلك النقطةُ لا تعني نهايةَ الشتات ولا الضياع. فقط ترمزُ لتمام معنى وابتداء آخر.. أمّا المرافئ والأوطانُ فلا يختصرها رمزٌ، ولا يسعها معنى. تقصد وتشعرُ ولا تبلى بالكتابة عنها وفيها.

ها قدْ نفى الحرفُ العبثية عن محاولاته، وأثبتَ أن تتابع القطر يحفر أخدودًا، وأنّ بوسْع الزهر أن ينبتَ في الصخر، وأنّ رأسي الذي كان خاويًا يمكن لبضعةِ أحرف أن تغزوه بصداع.

أقعُ الآن في شركِ البحث عنْ فكرةٍ جديدة؛ لأطيلَ ذاك الأنس بين الأحرف؛ لأطيلَ تلك الدقائق التي أجدُني فيها

بعيدةً عمّا ينبغي، وعنِ السّأم والأسى. تراني لم ألتقطْ أيّ فكرة، ولم أعدْ أبالي طالما أنّ الحبل موصول.

إنّ الصامتَ لا يجد لضجيجِه متّسعًا إلّا بين الأحرف، واللوحات الفنية، والموسيقى، والشعر، والطبيعة.

الطبيعة! تلك التي تُساميه الصمتَ والضّجيج في آن، فتفهمَ عنه وتحمل، وتعطي له وتجود.. تحملُ الصخب، وتهبُ المعنى والشعور.

صامتة هي لا تنطقُ إلّا لمُجيد الصمت، لمُجيد إرهاف السمع، وهي على صمتِها ضاجّة بالجمال، ممتلئة به.

وإنّ حياتي لا تستقيم إلّا بهذه وأولئك، أو أنّها لا يكون فيها من الحياة شيئًا، بل هي والموت سواء.

الليلُ غطّى المدى، وهو بدهمته محرابُ السّكون، وإليه يأوي الجمالُ بعد لجوء كلٍّ لمضجعِه.

الليلُ باعث الجنون، ومشعلُ الفتيل..

الليلُ يجْلو الروحَ من الدرن، ويبعثها ذات ألق.

٢٠/٣/٢٠١٨

(١٦)

عزيزي غيث:

ها أنا أغمسُ ريشتي في بحرِ الألم المتلاطم، من ثمّ أنزعها، وأخطّ رسالتي من ذاك الحبر السري.

عادَ الأرقُ لصَوَلاته بعدما نكأت الجراح جرحًا جرحًا. وما كنتُ أتلاهى عنه ويعثرُ خطوي، أتى بخيله وركبه.. وإنّي وحدي في مجابهته كما كنت.

أتعلم! يصعبُ عليّ أني ما اجتزتُ ولا مضيت إلّا وحيدة. وما تألمت وتلظيت إلّا وحيدة. وأنّ الألم يتداعى عليّ فلا أشعر بالدمع يقطرُ إلّا من الداخل.

معلّقة أنا بينَ الحياة والموت! فلا أنا في ركاب الأحياء، ولا في عداد الموتى.

فلوْ أنّها نفس تموتُ جميعة

لكنّها نفس تساقط أنفسًا(5)

قليلًا ما أضبط نفسي متلبّسة بمعانٍ روحانية شفيفة لفتاة كنتُها يومًا، فأنجرف معها حينًا، وتتلبّسني النشوة، غير أنّها لحظية تفيق منها على مرارة الحنظل، ما من شيء دائمٍ ها هنا يا صاح، الكلّ عابر، والكلّ إلى فناء، نفوسنا تبلى، ومشاعرُنا تتبدّل، والأيام تتقلب، والثابتُ الوحيد أننا في شَرَك الوجود عالقون، وأنّنا يومًا

مفارقون.

العالم موحِشٌ يا صاح، وإنّنا نخادع نفوسنا بالأنس بين الأحرف، وفي طيّات الكتب.. إنّنا واهمون في ذاك الحب، لاجئينَ إليه عن عوزٍ وفاقة؛ ليرأب الصّدعَ، ونرتق الخرق.

أمَا ترى أنّنا في حبّنا متقلبون، نمسي نحبّ أشياء، ونصبح لها مبغضين!

أمَا ترى أنّ المخروق استحالَ لخرقه فلفظتْه الحياة! والمثيرُ للسخرية أنّه مازال على قيدها!

٢٣/٣/٢٠١٨

---

(5) امرؤ القيس.

(١٧)

عزيزي غيث:

البوحُ يستنزفني، والصمتُ ينحرني بسكينٍ ثلم.

قدْ كنت حيّة في زمن ما. الآن.. الآنَ أريدُ أن أرثيني وأهيلَ عليّ التراب، كلا! أريد أن أكونَ أنا التراب. لمَ أنا موجودة بالأساس!؟ أنا لم أخيّر في وجودي، ومُجبرة للتعاطي معه كأمرٍ واقع. وأنا لم أعدْ أقوى.

كمْ تمنّيت الموت! تمنّيته بقدرِ الألم المُعترك داخلي، لكنّي لم أجرؤ يومًا على وضْع حدّ لحياتي. وعدم الإقدام ها هنا لا ينفي صدقَ التمني!

لطالما عبرتُ الطريق، وكدت أصدمَ، لكنّي لم أشعر بشيء يتحرّك داخلي. لم أكنْ أخاف.. كنتُ ميتة بما يكفي.

أذكرُ أنّ سائق شاحنة نَعَتني بعلوّ صوته بالمجنونة. في هذه اللحظة فقط شعرت أنّي كائن حيّ بوسْعه أن يشعرَ ويتفاعل، ولو بشكلٍ مُختل، ردّدت كلمته بتفكّهٍ.. أنا مجنونة! وانفجرت ضاحكة.

سائقٌ آخر كادَ يصدمني بعدما هممتُ أعبر دونَ النظر؛ أخالٍ الطريقُ أم مُمتلئ. لقد وقفَ خصيصي ولقّنني القواعد. لِمَ لَمْ يخطرْ بباله أن ما في رأسي أكبرُ من

أمورٍ هامشية كتلك! إنّه يفوق حياتي ذاتها؛ بالطبع لأنه يدمّرها.

متى عصفَ كلّ هذا الموت! متى سقطتُ في تلك الهوة! أم يجدر بي أن أتساءل إلى متى ستظلّ الأرض بورًا! إلى متى تحرثُ وتروى فلا تنبت؟!

منذُ يوم، أرسلت صديقتي: «يأكلني الحزنُ من الداخل يا رفيقة». وددت لو أقول: ويأكلني كذلك! لكنّي ابتلعتها، وعارضتُ فان جوخ «هذا الحزن لن يستمرّ إلى الأبد... سينتهي يومًا ما».

دعْك من هذا. الجوّ عاصف، مغبرّ، شديدُ التقلب هذه الأيام، لكنّها بالأمس كانت تُمطر... والمطرُ حياة.

٢٨/٣/٢٠١٨

(١٨)

عزيزي غيث:

أحدّثتك عن افتتاني بالشّعْر؟

لا أذكر، غيرَ أنّي موقنة أنّ قلبك يعرف بدون إخبار، ويعي بدون حديث، فقلبُ المحبّ حاسة وحدَه.

الشّعر ضربٌ من ضروب السحر. سحرٌ يعمل بالوجدان، ويأخذ بمجامع النفس إلى أفياء وظلال، وبَوادٍ وحواضر. تنهبُ به الأرض نهبًا، وتعبّ منه الجمال عبًّا.

وبعد، فإنّ الكلام عنه لا يفيه، والبيانَ في حقّه لا يساميه، وما عليك إلّا خوض غمارِه فيبين لك عنْ بديع صوره ومعانيه.

ها قدِ انتهيت من حفظِ رابعة ثلاث قصائد خلتْ من ديوان امرئ القيس، فبعد «قفا نبك» و «ألا عمْ صباحًا» و «ألمًا على الربع القديم» حفظت «سما لك شوق».

وآهٍ من الملك! «الخبيث! اتّخذ الشعر نعليْن يطؤهما كيف شاء!»(6) صدق والله جرير.

أفّ.. حاولتُ تضمين رسالتي بضعًا من درّه المنثور، فإذ بي أكتب القصائد كاملة!

أتدري، في صباحي البائس يُطربني أنْ أُحَيِّيني بـ «ألا

عم صباحًا أيّها الطلل البالي». الطريفُ أنّي كلّما كتبت الطلل تصحّح تلقائيًّا للطفل. قد لقنت تلك الغبية ذاك الدرس أكثرَ من مرّة، لكنّ الغباء علةٌ لا يرجى معها شفاء.

حسبُك الآن من ثرثرتي، ودونك الخمرُ فاسْكَرا!

٣٠/٣/٢٠١٨

وأنّ في قننِ الجبالِ وحسب، ووسطِ الأخطارِ المُتلاحقة؛ تنبتُ الأشجارُ المثالية؛ الأشجارُ الأشدّ بأسًا ومَنَعة.(7)

---

(6) جرير بن عطية

(7) هيرمان هيسه

(١٩)

عزيزي غيث:

إنّ المشاعرَ العاتية الضّاربة في أعماق النفس- التي تعصفُ فلا تبقي ولا تذر- عصيّةٌ على التقييد بالأحرف.

كيف وهي تجمح، وتعيث، ولا تمكثُ في موْضع هنيهة؟! إنّها تُلهم، غير أنها لا تكتب.

الوقتُ يا صاح يمرّ من خلالي غيرَ ماضٍ بي، لم يعدْ يكترث أكنتُ في ركابه أمْ ثاوية لا أبرح.

أمّا الزمن، فإنّه لا ينكف مرتدًّا بي إلى الوراء، حيث الموت، حيث الفراق..

لقدْ بدأ الموت حكايتَه معي مذْ كنت ابنة السّادسة عندما سلبت منّي جدتي فلم أبْكها.. أتعلم، حاولتُ يومَها أن أبكيها، لكنّ الخطب جاوز حدّ التفجع!

أجاءك خبرٌ عن أسماء؛ صديقتي التي قتلت؟! كانت تحلمُ أنْ تصير طبيبة فغدتْ شهيدة- نحسبُها-.

بالطبع، لا تعرف أستاذي سعيدًا! ليس ذا صيت.. أصيبَ في رأسه، لكنه ظلّ في العناية المركزة يومًا ثمّ مات، لكنّه مازال حيًّا داخلنا؛ نحن بناته!

زينب.. تلك حكاية أخرى.

كنتُ أحبّها. كانت شعلة، فأخمدوها؛ انتحرت زينب.

أتعلمُ أنّ ثلاثتهم جمعتني بهم مدرسةٌ واحدة؟! لم أبكِ أيًّا منهم!

أتعلم أنّ للموت رائحةً أشمّها حيث رحتُ أو غدوت. لا تعجب! إنها تنبعث منّي.

٥/٤/٢٠١٨

(٢٠)

عزيزي غيث:

أحيانًا أتساءل عنْ جدْوى نسج الحروف وصياغة الكلمات وتلاحم الجُمل! عن قيمةِ الأحرف وقيمةِ العالم المندلع في رأسي!

أتخبّط في لُجج الغربة، فأستوحش، فأعاودُ التّساؤل: لِمَ أنا عصية على الانْصهار والذّوبان؟! ماذا سيحدُث إنْ مزّقت أوراقي ودفاتري القديمة وتركت الحبرَ يسيل منجرفًا عنّي؟!

في الصّباح، استمعتُ للرسالة المنسوبة لفان جوخ، وانجرفتُ بعدها لرسالة فرجينيا وولف، ثمّ سارة كين. لا أخفيكَ فثمّة رابطٌ قوي يشعرني بالانتماء إليهم.

« كلّ الأشياء تغْدو باردة وباهتة بعدما يطؤها الزمن(8)».

«لم أعدْ أستطيع التركيز» «أنظرُ.. لا أستطيع القراءة حتّى لا أستطيع كتابة هذه الرّسالة بشكلٍ جيد، حتّى إنّني أخسر كلّ شيء(9)».

«كانت لديّ القدرةُ على البكاء، أمّا الآن فقد تخطّيت مرحلةَ الدموع»(10).

ألمُ رأسي لا يُطاق، ورسالتي مُزْجاة.. لقد استيقظ كلّ شيء.

١١/٤/٢٠١٨

---

(8) نبيل صالح.

(9) فيرجينيا وولف.

(10) سارة كين.

(٢١)

عزيزي غيث:

مساءٌ مُثقل بمعناك.

وبعد، فإنّي مُستمسكة بحياةٍ لا تنكف تقتلني، وواقعٍ مُمعن في لفظي.

وككلّ الحمقاوات تقتلني؛ لأنّي متبصّرة بكنْهها، عالمة بما تُخفيه ورقة التوت المُخادعة. وكما البشرُ تلفظني؛ لأني لا ألائم زيفَها وعبثها.

الحياة كانت مثيرةً للفضول يومًا، لكنْ وكما تعلم بأنّ «كان» فعلٌ ماضٍ. وكلّ ماضٍ جميل من وجْه، ومقيت من آخر.

ما مِن شيء يثير الفضول.. كلّ شيء باهت فاقدٌ لمعناه؛ لذا فالحياةُ أصبحت مُستهلكة، وغيرَ صالحة للتعاطي الإنساني.

تتعجّب من هذا التشبّث! لا تتعجّب يا صاح. إنّ لنفسي فلسفتها، فلا شيء يحسم داخلي بالبدهيات أو المقدمات والنتائج. هذا عبث!

الواحدُ إنْ أضيف لواحدٍ لا يساوي بالضّرورة اثنين، بل كلّ الاحتمالات ممكنة لعملية كتلك. دائمًا ما أضرب بقوانين الرّياضيات عرض الحائط، فهي جافة خاليةٌ من

الروح- في نظري- لذا لم أحبّها يومًا.

خالفتُ طبعي وبدأتُ أطنب! أملك روحًا مُعاندة ترفض أن توجد فلا تكون. تنبذ الهرب، وتستخلص من الضّعف مُرتكزًا للقوة. أقول هذا مغالبَةً رغبةً ملحّة في البكاء.

كان ثمّة أملٌ أخذ يخفتُ.. ويخفت، ويذوي.. ويذوي إلى أن تلاشى.

فيا موت زرْ إنّ الحياة ذميمة

ويا نفسُ جِدّي إنّ دهرك هازل(11)

سألتُ يومًا عمّا علّمتنيه الحياة فأجبت: علّمتني أنّ المعلم المبدع لا يلقن تلاميذه الدّروس، بل يجعلهم يخوضون غمارَها بعقولهم ومشاعرهم، فيستخلص كلّ طالبٍ درسَه بطريقته الخاصّة، وأنّ المعلم البارع تتنوع أساليبُه ولا تنضب قريحتُه.

وهذا اعترافُ خصمٍ لخصمه!

مُمتنّة أنّ ألمي ذو معنى! دامَ ودّك، وليسِرِ الخيرُ في ركابك!

٢٣/٤/٢٠١٨

---

(11) أبو العلاء المعري.

(٢٢)

عزيزي غيث:

لمَ الألم مُستبد؟! أعلمُ أنّ لكلّ منّا رحى يفتّه، وعاصفة تنضجه. أوَيعني النضج فقدانَ الشعور؟!

عمر يقول «إنّما العاجزُ مَن لا يستبد»(12) والألمُ ما كان عاجزًا يومًا، بل مُضْنٍ مُعَجِّز. لكنّ الأيام تعتور كلّ شيء من نقصان لكمال لنقصان إلى ما هو أكمل، فما بالُ الألم صاعدًا غيرَ نازل، متدرّجًا في علوّ وطغيان غير متراجع؟!

الألمُ لا يكفّ عن التلوّي والتلوّن، فيغير أثوابه كما الغولُ مذيقك مع كلّ قطرة مذاقًا ما استشعرته قبلها.

وأنت أمَا تدركك السّآمة من حديثٍ يبدأ به وينتهي عنده! أنا سئمت! سئمت الكتابةَ عن الألم والحياة والموت! سئمتُ ذاك الفلك، وتلك الثلاثية التي ما تنتهي إلّا لتبدأ!

بالأمس، مشيتُ والليلُ مسدلٌ سترَه، والنّسيم عليل، والشوارع هادئة منصتة لصخبي.

في مشيتي التقطتُ صورًا تعجبُ البعض، ويحبّها البعض، وتدهش بعضًا آخر، لكنْ لها في نفسي معنى ما أظنّه واقع في نفسِ أحد. في كلّ صورة أودّع جزءًا من

روحي.. في كلّ صورة حياة في نفسي، ونشوة، وسحر.

طالما تبدّل لونُ عباءتي من الأسود لرمادي، ولطالما تلطّخت بالطين، ولطالما علقَ فيها الشوكُ لالتقاط صورٍ كتلك. ولطالما رشقت بنظرات تعجّب، وأخرى متّهمة بالجنون. وأخالني في كلّ مرةٍ حديث كلّ منزل ومادّة دسمة للتندر. ولا بأس.. لا بأس بالجنون.. لا بأس بانْطلاقٍ كانطلاق الأطفال؛ بل أجمِلْ بهذه وتلك!

يا عزيزي: إنّ نفسًا لا يحرّكها الجمال نفسٌ معلولة، وإنسانًا يسعى لسدّ رمقه، ولا يبحث عن نصابِ روحه من الجمال؛ إنسانٌ مَعطوبُ الروح!

يا عزيزي: ممتنّة لأذنٍ تصغي، وقلبٍ يرهف.

٥/٥/٢٠١٨

---

(12) عمر بن أبي ربيعة.

(٢٣)

عزيزي غَيْث:

ضيفٌ ثقيل قادمٌ إليّ على موعدٍ ضرب له بغيرِ إرادةٍ منّي. وإنّي أعاني العوزَ والفاقة، فلا قبَلَ لي بتحمّله، فضلًا عن إكرامه!

وإنّي على هذا أريد الاجتياز بسلام كما اجتازها «طاوي ثلاث عاصب البطن مرمل.. ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما»(13).

فأكرم الضيف، وأطعم الأهل، ولم يهج بشين البخل بين العرب! إنّ السبلَ تضيق، والنفسُ منها أضيق، فهل تَعِنُّ لي أسرابُ فرج؟!

تعلم! إنّي أمقتُ تلك العجوز الشّمطاء المتصابية بمقدارِ حبّ قديم أقبلت عليها به، فجازتني مقابلَه قهرًا وقهرًا، وخذلانًا وخذلانًا، ليس فيما رجوته فيها من علمٍ محصّل وحسب، بل بما عايشته فيها من ذلّ وقهر. وكلّ ركن فيها شاهد على جرمٍ أبشع من أخيه. واللهُ يعلم وإنْ كتم الخلق، فما يعلن غيض من فيض مسكوت عنه.

تدري! ربّما رغم كلّ شيء ثمّة صوتٌ واهن أسمعُه من ركنٍ ما يقول إنّ تلك الأيام ستمر، وثمّة شعور دفين أنّ هناك فيما بعدَ مدِّ البصر ينبثق نورٌ ما.

لستُ متفائلة!- حاشاني- فذاكَ أبغضُ ما أبغضه، لكنّ العقل يقضي أنه ما من دهمةٍ سرمدية، وما مِن شقاء أبدي.. ربما هذا ما يبقي أنفاسي المثقلة على «قيد» تلك الحياة رغمَ توقي الشديدِ للانعتاق والتحرر. لتلك اللحظة التي ينحلّ فيها الضدّان.. لتلك اللحظة التي ينفصلُ فيها الجسد عن الروح. آهٍ! ذاك الجسد مُعيق. وتلك الروحُ جامحة! تلك الروح تحبّ التحليق.

إنّ تلك الأيام التي أراسلك فيها أيام حياتي الحقّة، وتلك التي يجفّ فيها كلّ شيء، ويستعصي عليّ البوح، وتتمنّع عليّ الأحرف؛ هي أيامُ موتي الذي لا أبعثُ منه إلّا على قيد رسالةٍ جديدة لك أضمّنها بعضًا من روحي المثقلة، وأنفاسي الحيرى!

عساكَ تدوم مادامتِ الأنفاسُ تتردّد، ولا يشوب وصالك كَدَر!

١٧/٥/٢٠١٨

(٢٤)

عزيزي غيث:

سئمتُ التّواري بين الأحرف.

نفسي المُضْناة، وعيني المسهَّدة ثارَا على فتات مقاومتي.

أخوضُ حربًا تفوقني، ويصعب عليّ الاعتراف!

أجرّ عزمي ورائي، وهو كسلحفاةٍ كسول. كلّ شيء تحالَف ضدّي، وتداعى عليّ كلّ شيء.

كلّ شيء ماتَ داخلي.. كلّ شيء. أنا رمادٌ لم تنكفِ الرياحُ تذروه.

لا تعجب؛ إنّ وصَلَك حبري متداخلًا فاشتبهتْ عليك الأحرف والكلمات، فالحبرُ مسقي بالدمع.

بتّ أفكر في الرحيل.

ويمرّ ببالي تأمّلي لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(14)

يوم قرأتها كأنّي لم أقرأها، ولم تمرّ على أذني مِن قبْل. يوم أدهشني الختام بالرّحمة لا بالنقمة، أو الأخذ بالقوة!

أنادي: يا الله.. يا الله! بقدر اليأس.. بقدر الضعف.. بقدر الخواء.. بقدر النأى والتّقصير..... يا الله

رحمتك!

في تلك اللحظات التي أتخلّى فيها عنْ بعض شكّي، فيخالطُ قلبي شعورٌ أنه قريبٌ يسمع.

أمرّ بأقسى نوبات الألم، والتفجّع على الذات. ذاك الألم الذي يفقدك اليقين في كلّ شيء، وأيّ شيء. يفقدك اليقينَ في الخلاص.. يفقدك القدرةَ على التركيز، أو محاولات التجاوز!

أنا مُتعَبة، واللغة على اتّساعها وترامي أطرافها عاجزةٌ عن صياغة هذا التعب ووصْفِ مقداره!

أنا أموت، وأتهاوى، وأفقدُ كلّ ما كان بإمكاني الاتّكاءُ عليه يومًا.

ادْع لي.. ادْعُ لي؛ علّ الله يلطف، علّه يرحم.

٢٢/٥/٢٠١٨

---

(13) الحطيئة.

(14) سورة النساء

(٢٥)

عزيزي غيث:

أتذكرُ تلك الزهرة الحمراء النّدية؟

لنْ تجدي السقيا ودوام التّعهد في دحض قدرها المحتوم!

الواقعُ يفرض قوانينَه على أرواحنا الحرّة يا غيث.

والزهرةُ إذْ فارقت الغصنَ ذابلة لا محالة! لكنْ بوسْع المرء أحيانًا الاحتيال على الواقع وهيمنته إنْ أراد! وأنا.. أنا أردتُ تخليد تلك اللحظة- ساعة اختلسنا لقاءً بعيدًا عن عيون الزمن- في تلك الزهرة التي أهديتنيها!

ها هي ذي غافيةٌ بين الوريقات.. جافّة هي، إلّا إنّها لا تخلو من جمال!

ابنة السّادسة يا غيث أتمّت عامها الثاني بعدَ العشرين! ولا تدري إلى أين تمضي بها الأيام؟!

ومتى انفرطَ ذاك العقد، وكيف تناثرت حبّاتُه في قاب قوسين؟!

ابنةُ السادسة يا غيث تكبرُ وتكبر، والهوّةُ بينها وبين البشر تتّسع وتتسع.

صرتُ أنوء باختلافي، وأتمنّى لو أنّ لي نفسًا لا تطمح

إلى أبعدِ ممّا يطمحون، وعينًا لا ترى وراءَ ما ينظرون، وروحًا ترضى بأعباء الحياة التي فيها يتشاركون.

صرتُ أتمنّى لو أني ترسٌ في العبث المحيط، بل وفردٌ في تلك الدائرة التي تحدّ أدوار الوجود!

تلك الدائرةُ البغيضة التي تبدأ من الدراسة مرورًا بالعمل، فالزواج، فالأبناء، فالأحفاد، فالهرم، فالموت!

أمَا تثير في نفسك ذاك الشّعورَ بالسآمة؟! أمَا تشعرك بالحصار والمحدودية؟! أمَا تشعر بتلك القيود التي لا ننفكّ نرسف فيها؟! أمَا شعرت بتلك المادية وذاك التشيّئ للمعاني؟!

أنا أختنقُ بالوجود يا غيث، وأرحب سربًا بالعدم!

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي

نَـوْحُ باكٍ ولا ترنّم شـاد

وشبيهٌ صوت النعيّ إذا قِيس

بصوت البشــير في كلّ ناد

أبَكَتْ تلكم الحمامة أم غـنّت

على فرْعِ غُصنها الـميّاد(15)

١٠/٦/٢٠١٨

(15) أبو العلاء المعري.

(٢٦)

عزيزي غيث:

أتدْري مَن أنا؟!

صرتُ أنقّب عنّي داخلي فلا أجدني. أبحثُ عنّي في وجوه العابرين فلا أعرفني.

يعشّش في رأسي حزنٌ أسودُ يغتال الفرح، ويقتاتُ على أيّ معنى يهب أيامي لونًا ولو شاحبًا!

في رأسي كائنٌ نواح يقطرُ دموعًا.. دموعًا داخل تلافيف عقلي!

في صدْري خواءُ العالم ورياحُه العاوية.. بين جوانحي يعصف الصقيع وأنا أنكمشُ من البرد.

لطالما أحببتُ الشتاء، واستمتعتُ برياحه الباردة، لكنّي أمقته.. أمقتُه حين يحتلّني من الداخل..

الوحشةُ قاسية يا غيث! إنّها لعنة.. لعنة تحتلّني حتى وأنا أضمّ الحروف بعضها إلى بعض لأرسلها إليك!

أتدْري ما معنى فقدان المعنى؟

يعني أنْ أسمع الصوتَ الجميل فأشعرُ فيه بصخب لا يطاق. أنْ أخطّ الحروف فأشعرُ بجمودها ولا جدْواها. أنْ أضحك فلا يكون لضحكي صدًى بين الجوانح، بل

ضحكات خاويةٌ من الروح! أنْ أنجز فلا أشعر بأيّ شيء!

أنْ يستوي الوجودُ والعدم، والسّعي والركود، والفرح والحزن. أن يستوي وقع الأضداد في النفس!

وهذا موت.. هذا جحيم.

لا أدري بأيّ شيء أهذي، وما ذاك الهراءُ الذي أخطّ! إنّني أفقد حتى قدرتي على الكتابة.. أخطّ جُملة ثمّ أضغطُ على الألم في رأسي ثمّ أعاود الكتابة ثمّ أعاودُ الضغط... والنوم جلّ ما آمل.

٢٢/٦/٢٠١٨

الوجودُ فاجعتُنا الكبرى، والقعودُ حماقة، والسّعي منهك.

العقلُ سفاح، والزّمن شَرّه المستطير، والأماكنُ شاهدة الجرائم كاملة.(16)

---

(16) الكاتبة

(٢٧)

عزيزي غيث:

الوجود.. فاجعتي الكبرى!

تخيّل معي لو أنّي لم أكن.. لو ظللت عدمًا!

آهٍ يا إلهي! لو أنّ المحال يغدو واقعًا.. لو أنّ الواقع يكفّ عن واقعيته.. لو مسّته ريشةُ الخيال.. لو أنّ الألم أخفّ وطأة!

منذُ فترة يلحّ عليّ سؤال محيّر.. أغيبُ في غياهب الألم ثمّ أفيق متسائلة.. لم تحمّلت كلّ ما مضى؟! لِمَ لَمْ أضعْ حدًّا لحياتي؟!

أتُراني رغمَ كلّ اليأس يحْدوني بضع أمل؟! أم أنّها روحي المعاندة تأبى الاستسلام؟! أم أنّي أجبنُ من مجابهة الموت؟! أم أنّي لا أقبل الانهزام أمام خصمي؛ الحياة؟!

إنّ أشدّ ما يُضنيني تلك الأيام أنّ عالمي الذي بنيتُه لبنةً لبنة لأواجه به بؤسَ العالم؛ ينهارُ ويفقد معناه.

الكتابة.. الشعر.. الرسم.. الطبيعة.. التصوير.. الغناء.

آهٍ يا إلهي! متى ينتهي هذا الألم؟!

منذُ أيام قرأت تقريرًا ذكرَ فيه أنّ الوجود نعمة. لا أدري أيّ نعمة تكمن في وجودِ الإنسان؟! قد يكون وجودُه نعمة للموجودات، أمّا أنْ يكون وجود الإنسان في ذاته ولذاته نعمة؛ فهذا عجيب! خصوصًا وأنّه لا يد له فيه ولا اختيار!

اللا شيء، اللا كون، اللا وجود، لا يحملُ تلك التناقضات المفرطة في التعقيد، المُصيبة بالجنون.

لونٌ واحد لا ينزع للتقلّب، ولا ينتابه التغير، ولا يشوبُه التعكير!

وكافي الوجود وصمًا أنّنا رغم ألوانه، وتموجاته، وصخبه، ومغرياته، وتقلباته؛ نفضّل عليه العدم!

أشعرُ أنّ كلّ الأشياء تنتقم منّي، وتتخلّى عنّي، وأنّي أعود وحيدة في مجابهة الحياة!

١٤/٧/٢٠١٨

(٢٨)

عزيزي غيث:

سلامٌ عليك أيْنما حللتَ، وبعد، فإنّي أذكّرك بشطر ابن زريق:

"لا تعذليه فإنّ العذل يولعه..." (17)

لا تعذلني يا صاح؛ فالرياحُ كانت شديدة العصف في الأيام الخالية، وصادف هبوبها خريف تلك الشجرة الضّاربة عمقًا في الأرض، السامقة طلعًا في السّماء، فنالَ من أوراقها وهي يومئذٍ هزيلةٌ مصفرة، وهذا ما منعني من الكتابة إليك.

الأحرفُ كانت تذروها الرياحُ وقتئذ فتنسرب من بين أحباري، لكنّي يا صاح لا أطيق هجرًا، فصفحًا جميلًا على ما لا يدَ لي فيه.

في تلك الأيام، كانت الألوان رفيقًا ومؤنسًا، وأجمل بالعبث بها، وملمسها ومزجها بالأنامل.

أخالني ابتدعتُ مذهبًا جديدًا في الفن! فقد رسمتُ لوحاتي بأصابعي فلم تكنْ لي بالفرشاة حاجة.

الألوانُ معانٍ تخلق في نفس الفنان فينقشُها على لوحاته.. هي كالأحرف تتنفس.. تثور.. تئنّ.. تتألّق.. ترفرف. ولا تلقي بسحرها إلّا لمفتن، فتخرج من بيْن

يديه لوحات خلّابة تأسر الناظرين.

قد خلقت منها عالمًا مغايرًا عن ذاك الذي نرسفُ فيه، وأجْمل بعالم يصنع على عينيك! هاكَ لوحاتي، فتأمّل.

١٢/٩/٢٠١٨

---

(17) ابن زريق البغدادي.

(٢٩)

عزيزي غيث:

لأنّ المعاني تفرّ.. لأنّ الأحرف تتخاذل.. لأنّ الحمل ثقيل.. لأنّ الصمت أرحَب؛ أكتبُ إليك كتابة مودّعٍ يلقي سلامَه الأخير، ويغضّ طرفه عن ذاك السبيل.

لم يعدْ في البوح شفاءٌ يا غيث، بل نكء لكلّ ما هو ثاوٍ، ومواجهته ودمامته وعَوَاره. وأنا أبْغي لروحي سلامًا وإدارة لحروبِها، بعيدًا عن صخب الأحرف وإغوائها.

لم يعدْ في الجعبة ما يُقال، فكلّ المعاني مكرورة، وكلّ الأحرف لا ترسم إلّا الألم، فإلى أنْ يحطّ الأملُ على تلك الأرض، وإلى أن يخطّ النورُ سطرًا في تلك الحلكة؛ لكَ السّلام، وعليك الرحمة، وإليكَ امتناني يا عزيز.

٢٦/٩/٢٠١٨

(٣٠)

يا غيث:

الحياةُ تسلّل بينَ جوانحي على استحياء، وبصيصُ النّور يعانق ركنًا قصيًّا من روحي، وأنا مازلت أقاومُ يا عزيز!

لو سألت سابقًا عنْ قوّة تولد من ضعفٍ لما كدتُ أبين. أمّا الآن فأنا أعرف جيدًا كيف تخرج هذه مِن تلك، بل كيف تخرج الحياةُ من براثن الموت!

اشتقتُ للكتابةِ إليك يا عزيز.. أمَا تشتاق؟

إنّني أحنّ لكلّ قديم.. للقراءة.. للكتابة.. للرسم.. للتصوير.. للحياة.

أتعلم! رغمَ هذه البعثرة، والأفكار المُشعثة التي أخطّها؛ فإنّ روحي تتقافز سعادةً كطفلة بحلوى العيد! سعيدة بالكتابة إليك.

يا غيث، يُدْهشني الماء الذي ينهمرُ فتكون به حياة كلّ شيء، فبهذا بشره. ولهذا ينذرُ حياته! ويا لَعَجبي من أولئك الذين تأنف نفوسُهم العذب الزلال، فيعبّون مِن الأجاج، فلا هُمُ ارتووا ولا كفّوا!

يا غيث، الحياةُ عذبة مالحة..

٩/١٠/٢٠١٨

(٣١)

عزيزي غيث:

الحياةُ تقتاتُ على كلّ معنى يهبُ أرواحَنا شيئًا من أمل! كيف تكون باردة جامدةً وتكون أرواحنا ضاجّة بها؟!

إنّها في سبيل مُحاربة شتائها تغتالُ كلّ جميل فينا..

كتبتُ من أعوام، ويبقى الأملُ مادام فينا نفسٌ يتردّد، لم أكن أعلمُ يومئذ أنه يمكنُ للإنسان أن يحيَا دونما أمل، صحيح تكون حياتُه والموت سواء، لكنْ على كلّ حال يظلّ على قيْدها..

الإنسان كائنٌ مليء بالتّعقيدات والمتناقضات لا تكاد تسلم لقاعدة تؤطّره إلّا وتفاجأ بنزوعِه إلى ضدّها!

لذا فالحياةُ وجدت بهذا الجنون لتتّسع لهذا الكمّ من التناقض، ونحن لا نكفّ ننعتُها بالمثالب، بيدَ أنّها ما وجدت بها إلّا لتلائمني وتلائمك، وتتماشى مع جنون البشر!

الحياةُ ليست بهذا السوء الذي نتصوّره، وليست كذلك بذاك الكمال الذي نرجوه. وكذلك الموت..

يا عزيزي، أنا أكابدُ لأكون بخير.

١٥/١٠/٢٠١٨

(٣٢)

عزيزي غيث:

كيف حالُك يا رفيق؟ أرجو أنْ تكون بخير!

وعنّي يا صاح، فمازلتُ أحاول اقتناصَ طيرِ السّعادة غير الكافّ عن التحليق بعيدًا بعيدًا. يرافقني الحظّ تارة، فأسعد به وأطيبُ نفسًا، ويجافيني أخرى فأكدّ وأنصب.

السّماءُ ملبّدة بالغيوم، والعصافيرُ شادية بالصّباح مُبتهجة به، وأنا ما إن تشرق الشمسُ إلّا وأتمنّى غروبها، وما إن تغربُ فما أرجو إلّا الشروق. تتبدل أحوالي وتتقلّب تقلبَ الليل والنهار.

منذُ أيام خرجتُ هائمة على وجهي في الطرقات. خرجتُ هائمة أنا وأفكاري.. تتعارك برأسي ذاتَ اليمين وذاتَ الشّمال. كان الوقت قبيلَ الغروبِ والشّمسُ محمرّة، وندفُ السحاب تغشى أطرافه الحمرة. كان المشهدُ خلّابًا يبعث في النّفس هدوءًا وسكينة. أمشي معانقةً بوجهي السماءَ أردّد إن في الحياة سحرًا أودّ اقتناصه.

لم أحدّثك عن مذاقِ القهوة الفرنسية! ولا عنِ الشكولاتة المحشوّة بالنعناع! كانا رفقائي في الأيّام الخالية، وأنعم بهما من رفقة!

أصبحتُ ثرثارة، لكنّ الحديث إليك ذو شجون.

٢٣/١٠/٢٠١٨

(٣٣)

عزيزي غيث:

كيف نقنعُ الحروفَ لتلبّي تلك الحاجة الملحّة إليها؟!

كيف نجعلُها تصرخ؟! كيف تئن؟! كيف نعبّر عن الحزن؟! عن الغضب؟! عن الخواء؟! عن الوحدة؟!

إنّ بساطة قولِك أنَا حزين: لا تُلائم ذاكَ التعقيد وتلك الفوضى الداخلية!

أنا حزينةٌ يا عزيز.. حزينةٌ للغاية.. الحزن ينخرُ قلبي من الداخل، أحاول جاهدة دفعَ الأيام، لكنّ ذاك الدفع كمحاولةٍ لزحزحة جبلٍ من موضعه. الأيام لا تمرّ بي.. تمرّ وتسقطني في طريقِها محاولة استيعابَ ما مضى كيف مضى؟!

وما هو آتٍ على أيّ حال سيأتي؟! الضبابُ غطّى المدى. وأنا بالكاد أرى موضِعَ القدم. أتعثر.. أتعثّر كثيرًا، لكنّي أقاوم، وأنهض، وأكمل المسير.

إلى أين تمضي الأيامُ بي؟!

أنا غاضبةٌ يا عزيز.. غاضبة للغاية. الغضبُ يحرق كلَّ يابس داخلي يحيله رمادًا.. لا تعجب من كوْنه لا يحرق الخضرة، فما مِن خضرة يا صاح!

أنا خاويةٌ يا عزيز. ثمّة فراغٌ تعوي به الريح.. عبثًا أحاول ملأه لكنّه أبدًا لا يمتلئ.

أنا وحيدة.. وحيدةٌ للغاية يا عزيز.

٢٨/١٠/٢٠١٨

(٣٤)

عزيزي غيث:

أفتقدُ الأحرفَ وانسيابَها على الأوراق، بل أفتقدني. أنا طفلٌ تائه لا يكاد يبين، وشابّ يكابد لا يكادُ يصل، وعجوزٌ زاهد لا يكاد يرغب.

الحياةُ تموج من حولي وأنا أراقبُها عن كثب. يأتي الصباحُ فأتمنّى لو لم أستيقظ، وتغربُ الشّمس فأتمنّى النوم إلى الأبد.

حدّثني عن الحياةِ في ناظريك! أطفلةٌ بريئة، أم حسناء شابّة، أم عجوز شمطاء؟!

الأيامُ هنا يشبه بعضُها بعضًا، فكأنّها نسخة مكرورة من أصلٍ واحد.. وأنا في هذا الركنِ من العالم تنتابني السّآمةُ والملل.

حدّثني عن حالك.. عنِ الحزن في عينيك.. عن الخواء بين جوانحك.. عن الألم الفتّاك في رأسك.. عن يديْك المتورّمتين من حفر الصخور.. عن الصخور الصّلدة التي لا تُجدي محاولاتُ الحفر فيها.. عن مذاقِ الفشل.. عن وقت فراغك.

حدّثني فقدْ سئمت الحديثَ عني.. حدّثني علّ في حديثك سلوى!

أسألُك يا عزيز: هل يهتدي الطفلُ التّائه؟! أوَيصل الشابّ المكابد؟! أوَيرغب العجوزُ الكهل؟!

أجبْني بربّك: أهناك أمل؟!

٨/١١/٢٠١٨

(٣٥)

عزيزي غيث:

طالَ غيابُك يا رفيق، ولم أعدْ أطيق عدَّ اليوم تلوَ اليوم علّه يصلني منك شيء!

أكتبُ ولو هذيانًا، أرسل ولوْ ألغازًا، قلْ شيئًا واكسرِ الصّمت الطويل..

بالمساء، خرجت الذّكريات تغتالني الواحدة تلوَ الأخرى، رأيتهنّ كعفاريت ينلنَ منّي، طاردتهنّ واحدةً واحدة حتى منزلهنّ القصيّ داخلي، وأوصدت عليهنّ البابَ على وعدٍ بلقاء قريب، وخلدت للنوم.

حدّثتك عن السّأم، لا بأسَ أنْ أحدّثك من جديد، سئمتُ سأمي يا صاح! أحاول جاهدةً خلقَ شيء جديد، لكنْ كلّ الأشياء حولي باهتة.

متى تدبّ الحياةُ على هذه الأرض يا عزيز؟! طريقي دائمًا طويل.. شاقّ ووَعِر.

قدْ طال الجدب.. والأرضُ مُقفرة متشقّقة.

الحزنُ مُتغلغل داخلي يجرعني كؤوسه الواحدَ تلوَ الآخر، والدّمع هجر المآقي، والنّفس مُتعبة، والروحُ لفظتِ الأنفاس منذ زمن بعيد.

١١/١١/٢٠١٨

عزيزتي:

لا بأسَ عليك، وعلى قلبِك الطيب. لا أراك اللهُ بأسًا يا جميلة.

ما أسهلَ صوغَ عبارات الأمل، والحديث الإنشائي عن التفاؤل، لكنّه يبقى مستهلكًا مبتذلًا لا يمتّ لواقع المعاناةِ بِصِلة.

دعْك منهما، وتأمّلي تلك الواحةَ الغنّاء التي ما تفتئينَ مُلتقطة لها أجمل الصور. أرأيت إذ الْتهمتها يومًا نارٌ هائلة مخيفة، وبعد أن أتتْ عليها غدتْ جذوة تكاد تخْبو، ثمّ خمدت. غير أنّ يدَ الحارث لم تفتأ تعيدُ الحرث والبذر والري، لتبثّ الحياة في تلك الأرض من جديد.

روحُك هي تلك الواحة يومَ كانت يانعةً مخضرّة، ثمّ أتى عليها الواقع، فأحرقها حتّى أخمدها، لكنّ الزمن كفيلٌ بتغيير معالم هذا الخراب والدمار. هذه سنّة الحياة يا عزيزتي؛ قوّة، فضعف، ثمّ قوة. تتصارعُ الأضداد إلى أن تكون الغلبة لأحدِهما.. والغالب هنا ليس الأقوى، بل الأطولُ نفَسًا، والأشدّ صبرًا ومثابرة.

يا عزيزتي: يومًا ما ستكونينَ شاهدة على رمادك وهو يونع، ويؤتي أكُلَه.

(٣٦)

عزيزي غيث:

سلامٌ عليك يا رفيق، وبعدُ، فإنّ ألمي عقيمٌ لا ولد له..

لا أحرف، لا كلمات، لا تصوير، لا تفصيل، لا رسم، لا شيء.

ألمي نهرٌ راكد، وبركانٌ خامد.. ألمي ماءٌ آسن، لا حياةَ فيه.. ألمي وحْشٌ رابض بطنُه مُتخمة، ويستلذّ بالْتِهامي على مهل.

٢٠/١١/٢٠١٨

(٣٧)

عزيزي غيث:

الهواءُ باردٌ عليل، والساعة بالكاد تجاوزتِ الثّامنة، أمضغ العلكة بعبثية تلائم العبثَ الرّازحة فيه. أواجه الوجودَ بلا اكتراث، وكثيرٌ من اللامبالاة، وأقبع في الرّكن الفَسيح حيث اللا شيء، لا جديد في حياتي سوى أنّي مازلت أقاوم.. وأظنّ أنّ هذا كافٍ.

أقاوم مشاعري المقعدة عنْ بذل خطواتٍ في طريق التعافي، أقاوم نفسي وعلّتها المُتغلغلة لأبسطَ تفاصيل يومي. أقاوم ألمَ الوجود، وأحاول معاملته كأمرٍ واقع.

وماذا عنك يا عزيز؟

أمَا زلتَ تنتمي للخيال الرّحب، أمْ هزمتك هيمنة الواقع؟!

أمَا زلت تؤمن أنّ هناك حياة تنتظرُنا في آخر ذاك الدرب الحالك؟! تلك الحياة التي ستبدأ فصلًا جديدًا يجدل خيطي النّور والظلمة، بدلًا من هيمنة السواد!

أصبحت كثيرةَ التساؤل؛ لأنّي كثيرة التشكك فاقدة الإيمان، لكني مؤمنة بك! بقدرتِك على التّجاوز، والإمساك بطرف نجاة.

ما مِن زادٍ يقيني وعثاءَ الطريق يا صاح. وأنا تعبتُ من

السّفر.. مِن شدّ الرحال منّي إلي.

رغمَ ذلك مازلتُ أؤمن بمقالتي: في رحلتك منك إليك لا شيء يذهب هباء.

٣/١٢/٢٠١٨:

عزيزتي

سلامٌ عليك، وألفُ تحية لروحك المقاومة.

أمّا بعد يا عزيزتي، فالواقع يقودُنا لحافة الجنون، أمّا الخيال فيقود لحوافّ الجمال.

ولا يخْلو عملٌ مبْدع مِن مزجِ هذا بذاك، فلا قيمة للخيال إنْ ظلّ عالمًا مستقلًّا في رأس المبدع، ولا قيمة للواقع إنْ ظلّ على رتابته بلا حجر يحرّك راكده.

سألتني مِن قبْل: هل مازلت أنتمي للخيال، أم هزمتني هيمنة الواقع؟ أنا يا عزيزتي أطوعُ الواقعَ للخيال، وأكبحُ جماح الخيال بالواقع.. فأنتمي للإبداع والجَمال إذ يصير واقعًا حيًّا.

أمّا عن إيماني، فمازلتُ أؤمن أنّ هناك حياة تنتظرنا في آخر ذاك الدرب الحالك. المرءُ يا عزيزتي بإيمانه وعمله، فإذا تزعزعَ إيمانه لم يصحّ عمله، وإنْ عمل بغيرِ إيمان كان عملُه بلا قرار. وإنّي مؤمن بك، وبقدرتك على تبصّر النور من ثمّ جدله بالظلمة التي فيها ترسفين.. وإنّي أرى

بشائر النصر بينَ السطور التي تخطين.

دمتِ يا عزيزة، ودامَ لقلبك السكينةُ والسلام.

(٣٨)

عزيزي غيث:

لا أعرفُ لوجودي معنى سوى بضمّ الحروف بعضها إلى بعض. أريد أن أكتبَ وأكتبَ حتّى أفنى. الألمُ ينخر في صدري، والكتابة هي طريقتي الوحيدة للانعتاق منه.

نفسي مُغللة بالجراح. أنا ذاكَ الفارس المقتل ما بين طعنة، ورمية. الموقن أنّ حتفَه قابَ قوسين، لكنّه ما ألقى عنه السلاح ليحيى حتى الرّمق الأخير بشرف.. ليموت بشرف.

السّماءُ كانت تمطر منذُ لحظات وأنا شديدةُ الحبّ للمطر مفتونة به. قد كنت في صغري ألعبُ ورفيقتي تحتَ زخّاته.. أفردُ ذراعي وأرفرف كطير معلّق بين السّماء والأرض. الطفولة حياةٌ يا غيث، وما سواها موت على قيدها، وأنا أحاولُ ألّا أقوض الطفلة داخلي.

رأسي خاويةٌ تمامًا، هجرتها الأفكار وصخبها منذُ أمد. أريد أنْ أثرثر، وما من شيء أدندنُ حوله.. أعذر كلماتي القليلة، وليكنْ فيما بين السطور عزاء وسلوى.

٦/١٢/٢٠١٨

(٣٩)

عزيزي غيث:

يسوّل لي الزمنُ هجرَ الكتابة إليك، يصف الحاجزَ تلو الحاجز ليُقصيني عنك. يسوّل للخواء المكوث بين جوانحي، ويقدّم له فؤادي قربانًا.

يشغلُ عقلي في ما كان وما سيكون، ويلهيه في مجرياتِ الحياة صادًّا إيّاه عن الانْشغال بك. وها أنا أعاندُ الزّمن، وآتيك محمّلة بالشوق.

الفارسُ المقتل يراودُه الاستسلام عنْ نفسه، يزيّن له التولي عن ساحة القتال.. العجز ينشب مخالبَه في روحه سالبًا إيّاه إرادة الحياة.

الحياةُ ليست سهلة يا غيث، والموتُ المشتهى ليس خلاصًا. لقد وقعنا في الفخّ مذْ وجدنا، ولا سبيلَ للعدم الذي إليه نَحِن.

أنا مُتعَبة بوجودي يا عزيز.. وجود كأنّه والألمُ مترادفان! الوجود ثقيل، أثقلُ ممّا أحتمل، وأنا أسيرُ في الحياة حاملة هذا الثقل على كتفي.

لقدِ انحنى ظهري من الثّقل، ومعَ هذا فإنّي لا أخرّ أرضًا.. ولا أدري لم؟!

لستُ مؤمنة بفرصِ النّجاة، ولكني مازلتُ أبحث عن

طرفٍ أستمسك به.

٢٥/١٢/٢٠١٨

عزيزتي:

تبًّا لزمن الذي يصفُ الحواجز بين روحينا، وأجمل بك من معاندة!

يا عزيزتي، الاستسلامُ ليس من شيَم الفرسان، والتولي عن ساحات النزال ليس مِن طباعهم. وأنا موقنٌ أنّ تلك الروح الأبية ما خلقت إلّا لتقاتل فتنتصر. الألمُ عارض، والهزيمة عارضة. وما أرى تتويجَ مسعاك إلّا قاب قوسين. فصبرًا.. صبرًا يا حلوتي.

يا عزيزة: «الحياةُ ليست سهلة وليست صعبة كذلك»(18) وإن كلّ دربٍ مشيت فيه، وكلّ خطوة خطوتيها؛ تزلل عقبة، وتبني لبنة. وما تعمر الأشجار، وتصمد في وجْه الرياح؛ إلّا بجذرها الضّارب في عمق الأرض، فلا تتعجلي قطف الثّمار يا عزيزة.

يؤلمني ذاك الثقلُ على كتفيْك، وأودّ يا صغيرة أن أحملَ عنك ما حمّلته إيّاك الحياة، لكنْ للحياة قانونها، وكلّ امرئ مُدرك نصابَه من الألم. لا يدفع عنه دافع، ولا يردّه عنه راد، ولا يحمل محبّ عنْ حبيبه، ولا يرفع عنه من أثقاله شيئًا.

تذكّري دائمًا أنّي هنا أسمع أنّاتك، وأتلهّف لأحرفك.
تذكّري أنّ لوجودك معنى، وأنّي بك أقاوم.

---

(18) هيرمان هيسه

(٤٠)

عزيزي غيث:

الأحرفُ تولّي هاربة وكأنْ لم يكن بيننا طولُ عهد! أكتب وأمحو، وكأني أتعلم الكتابةَ من جديد، وكأنّ أحرفي ضاقتْ بالوجود ذرعًا؛ فاختارتِ الفناء!

ماذا يسعُني أن أقول؟ وفي أيّ شيء أثرثر؟ الحال أنّ المعاني سئمت من دوَراني في فلكها فأبتِ التّجدد!

لمْ أخبرك عن سلمى! رفيقة طريقي الوَعر، قالت بالأمس: إنّي إنسانة جميلة تستحقّ ألّا تفقَد! إنّي مزيجٌ من العقل والعاطفة، وإنّي ذكيّة جدًّا، وذات بصيرة! سلمى إحدى نعم الله، ومن آثار لطفه بي.

شاهدتُ مذْ يومين فيلم (wonder) كان عرضًا مذهلًا.. خفق له ما بين جوانحي، فهوَ إنسانيّ بامتياز. يحضرُني قولُ الأمّ لابنها مشوّه الوجه، وهي تشيرُ إلى تجاعيد وجهها: «لكلّ منّا علامة على وجهه. ظهرَ هذا التجعيد عند أوّلِ جراحة لك، وظهرتْ تلك التجاعيد بعدَ آخر جراحة لك، لكن قلب المرء هو مُرشدُه الذي يدلّه الطريق، أمّا المظهر فهو ما يظهرُ عليه ما خاضَه. وهذا لنْ يمسي قبيحًا أبدًا»(19) أعجبتني فلسفتها ومواستها.

أنا واقعةٌ تحت وطأة الاختباراتِ هذه الأيام، وهذا يعني مزيجًا من الحزن والألم.. ادعُ لي علِّي أجتازها بسلام.

١١/١/٢٠١٩

Wonder (19)

(٤١)

عزيزي غيث:

رغمَ كلّ ما أبوح به ثمّة أشياء ولدَت للكتْمان. تلك هي ما تثقلُ الكاهل، وتقف حائلًا بيننا وبينَ التّخفف، ومن ثمّ التّحرر. أشياء تبدأ بالخذلان، وتنتهي بالانكسار. كلّما كان الخذلانُ من قريب كلّما اشتدّ قسوة. أمّا الانكسار، فهو ما يسمحُ لنور أن يتسلّل للظلمة. أمَا تلاحظ خطوطَ البرق المنكسرة وهي تغزو الظّلام فتهيمنُ عليه.. هذا جانبُ الانكسار المشرق. أمّا الانكسار ذاته، فمرٌّ مرارةَ العلقم، لكنّ الحياة دائمًا ما تشقّ طريقها فوق رفات الموتى.

وأنا أحاولُ الإفصاحَ علّ ذاك الثقل يخفّ.. أحاول الوصفَ المجرّد، وأتوارى بعيدًا عنْ من.. وكيف. في التجريد غطاءٌ مريح، كأنّك تفصحُ ولا تفصح، وتبينُ ولا تكاد تبين.

الحزنُ تسلّل إلى نفسي باستدعاءِ الذّكرى. يا عزيزي: هل لي بعُمر بلا ذاكرة؟!

فالتذكّرُ لعنة؛ يستنزفُ كلّ بقعةٍ حية فينا. والنّسيانُ هو المشتهى العصي. أريد أنْ أنسى مَن أنا.. أنسى بماذا مرَرت.. أنسى كيف عانيت.. ولا أتذكر إلاك والكتابة إليك.

١٣/١/٢٠١٩

(٤٢)

عزيزي غيث:

أكتبُ إليك وأنا على قيْد التّماثل للحياة.. مازلتُ أقاوم، وقد سقت قطراتُ الغوث أيّامي البور.. مازلتُ أتحلّى بالصبر، وأصبح بي أملٌ أن يستحيل القفر ينوعًا.

بدأتُ أستعيد قدرتي على القراءة بعدَ أشهر من فقد القدرة، ورأسي الذي لا يكادُ يتذكّر حتّى ينسى؛ أصبح أكثرَ مقدرةً على التركيز والتعاطي مع أمور الحياة. اجتزتُ اختبارين وأكادُ أجتاز الثالث.

إنجازاتٌ قدْ تبدو صغيرة في عينِ البعض، أو لا يعتبرها البعض الآخر إنجازاتٍ من الأساس، لكنّها كلّ شيء لفتاةٍ فقدتِ الحياة نفسيًّا وبدنيًّا، ثمّ أصبحت تدركُها شيئًا فشيئًا.

قدْ متّ في الفترة الخالية ألفَ مرّة ومرّة، لكنْ ها أنا أبعث من جديد لأكون شاهدةً على رفاتي وحطامي، والحياة تبثّ فيه.

يقول الطبيب- في أشدّ أيامي حلكة-: إنّه مؤمن بأنّ هناك حياة أفضل من المُمكن أن تُعاش، إيمانُه ربما هو ما أبقاني على قيد الحياة.

١٥/١/٢٠١٩

عمت مساء يا عزيزة!

وبعد، فإنّ الحياة بعيدًا عمّا نحبّ ضربٌ من العبث، أو ربّما الجحيم. شغفنا والتزامُنا بما نحبّ هو ما يبقي الحياةَ بأرواحنا، ويمدّها بزاد المسير.

الحياةُ ليست ذات معنى، لا يسعُ معناها سوى تردّد الأنفاس، وتبصُّرُنا بكنهها يفرضُ علينا السعيَ الحثيث لخلق ذاك المعنى وإيجاده.

أتذكرينَ الشّعر؟ الشعرُ الذي قلت فيه إنّه ضربٌ من ضروب السحر! أين حظّك منه الآن؟ أعلمُ أنّ عدوّك اللعين ناشبٌ في حياتك، مُقْصيك عمّا تحبين-وحاشاي أنْ أقسو عليك- ولكنّي مذكّرك بذاك السّحر الذي إليه تنتمين.

ولكنّما أسعى لمجدٍ مؤثّـلٍ

وقد يدركُ المجدَ المؤثّل أمثالي

وما المرءُ مادامت حشاشةُ نفسه

بمُدرك أطراف الخطوب ولا آلي(20)

١٨/١/٢٠١٩

يهزأ بالنّدوب ذاك الذي لمْ يُكْلَم يومًا.(21)

---

(20) امرؤ القيس.

(21) شكسبير

(٤٣)

عزيزي غيث:

أنا غاضبةٌ متألّمة.

ما معنى أن تكون إنسانًا؟

يعني أنْ تشعر.. يعني ألوانًا مُتفاوتة من البهجةِ والحزن، وخليطًا من البياض والسّواد.

وأنا غاضبةٌ من إنسانيّتي متألّمة بها.. ألَا ليتني كنتُ حجرًا، لا تتداعى عليه بواعثُ الشّعور، فلا هو حزينٌ ولا متألّم.

البارحةُ صباحًا اشتريتُ لنفسي المثلّجات مكافأة على مثابرتها ليالي الامتحان، أمّا مساء فقدْ ألحقت بنفسي أذًى بالغ، وحاشاك أن تتّهمني بالجنون.

يا عزيزي: لنْ تشعر بالحياة إلّا بمسّ الموت، والألم مبعوثُه الأكثر دلالة وإخلاصًا. إنْ كنت تشعر بالألم، فأنتَ حيّ تمامًا.. وإن تسرّب إلى مسامّك، فصرت موشومًا به بلا خلاص، فأنت ميّت تمامًا.

الموت.. هو تلك الحياة العالقة بين حياةِ الظّاهر، وموت الدواخل. الحياة تكمنُ في المُنعطفات.. في الانحدارِ الحاد، والتأرجح ما بين لذّة وكبْوة، وفيقة وغفوة، وكُمونٌ وبزوغ.. في ذلك النّزق، وتلك المزاجيّة

المُفرطة.. في الأفكار التي لا تعرفُ الاسْتئذان.. في الأحرف التي تتلقّاها ببشرٍ وترْحاب.

يا عزيزي، ثمّة ألمٌ يموج داخلي بيدَ أنّي حيّة ها هنا بين أحرفي.

٢٠/١/٢٠١٩

(٤٤)

عزيزي غيث:

دواخلي شديدةُ التّشعيث.. والكتابةُ تعيدُ ترتيبَ الفوضى داخلي.. أريد شيئًا لا أعرفُ كنْهَه.. أتوقُ إليه كتوْق الأمّ لمُعانقةِ صغيرها المتكوّن بين أحشائها.

أسْعَى وأشعرُ أنّ كلّ خطوة، وكلّ يوم يدْنيني منه شيئًا فشيئًا. أرى الحياة من خلاله ستكونُ أقلّ تعقيدًا، وأكثرَ سلاسة.. عميقة، وأقرب للحقيقة.

أخالني تعرّفتُ عليه وأنا أضمّ الكلمات بعضها لبعض.. أنتظر التعافي الذي أسعَى إليه، وأتوقُ لتلك اللّحظة التي تتحوّل فيها اليرقة.. اللحظة التي تنعتق فيها الفراشةُ من شرنقتها.

لحظاتُ الميلاد واستقبالُ الحياة مثيرةٌ للدهشة.. سواء الميلاد الأول بلفظ الرحم وتخلّيه، واحتضان الفضاءِ الفسيح، واستقباله بالصّراخ، أو الميلاد الثاني حين يلفظُنا الألم بعد أنْ يصقلنا ويمنحُنا حياةً أكثر اتّزانًا.

إنّنا دائمًا ما نولَد من خلال الألم؛ ألمٌ تعانيه الأمّ لحظةَ المخاض، وألم نعانيه لحظةَ الميلاد الحقيقية لأرواحنا بعد صقلها.

يا عزيزي، أنا مازلتُ أقاوم، الفارق أنّني بتّ مُستبشرة

خيرًا، وهذا عظيم لو تعلم.

٢٧/١/٢٠١٩

(٤٥)

الحياةُ مُخيفة يا غيث، إنها تلوكني، ثمّ تبتلعني بجوفِها كلقمةٍ سائغة. أمّا عالم البشر فعالمٌ غريب، لا أشعرُ بالانتماء إليه.

لستُ أرفع نفسي فوقَهم، ولا حتّى أجعلني دونَهم، لكني أشعرُ وكأنّي من طينة غيرِ طينتهم.. أنّي تلك القطعة العصيّة على التطويع والتشكل في حيزهم، وأسعَى بكلّ ما أوتيتُ من الضّعف والقوة أنْ أبني شكلي الخاص، وأعلن عن وجودي.

لم أكنْ لأتمنّى يومًا أنْ أكون مختلفة.. الاختلاف لعنة؛ يجعلك منبوذًا بين بني جلدتِك، وكأنك أجرب.

يجعلُ من العصيّ فهمك، وحلّ ألغازك.. مِن العصي فهمُ منطوقك، فما بالك بالصّمت الطويل!

هنا، حيث الأحرفُ أشعرُ بالانتماء، وأحبّ الحرية التي تمنحنيها بسخاء؛ لذا فإنْ تمنعها علي أقسى ما يكون.

تخيّل لو كنت حرفًا ماذا عسايَ أكون؟! أيليقُ بي حرفٌ مُفخم، أم ذاك المرقّق؟! تعلوه النقاطُ أم خاليها؟! أخالني حرفًا يحمل صفاتًا لا يحملها غيره.

تثقل كاهلَه، وتجعله شديدَ العُسر على اللسان، شديدَ التّميز بين الأحرف المجاورة.

أرجو منْك يا عزيز بعدَ فراغك من قراءة تلك الرسالة أن تمزّقها، ثمّ تحرقها، ثمّ تذروا فتاتَها مع الريح. تناسى أنّي بُحت بذاك السرّ يومًا، وقبلها طمئن ذاك السّاكن بين أضلعي أنّ الحياة ليست وحْشًا.

٣/٢/٢٠١٩

(٤٦)

عزيزي غيث:

ها أنا أكتبُ لأكسرَ الصّمت المعتّق، أنا أكتبُ لكنّي أهذي، أنا أصمت لكنّي أثرثر، أنا أضحكُ لكنّي أبكي، أنا محمومة بائسة!

"إنّ ثمنَ اكتمال الإنسان باهظٌ جدًّا. وقليلون مَن يتوفّر لهم الوعي، والشجاعة ليدفعوا الثّمن.. على الإنسان أنْ يوقف البحثَ عن الضمانات لنفسه، ويروح يغرفُ مِن الحياة بملء كفّيه. يعانق الوجود كما الحبيب حبيبته، ويتقبل الألمَ كشرطٍ من شروطِ الحياة. عليه أنْ يساكن الشكّ والظّلمة، إنّهما ثمنُ المعرفة. وهو بحاجةٍ إلى إرادةٍ عنيدة في الصّراع، وعلى استعدادٍ دومًا لتقبّل النتيجة أحياة كانت أم موتًا» (22)

وأنا يا عزيزي لم أزلْ أدفع الثمنَ باهظًا من نفسي وروحي وعمري. إنني أشقّ ذاك الطريق بكثيرٍ من الصّبر والدّمع والألم.. بيدي العاريتين، ونفْسي المستنزَفَة.

إنّني أعاندُ خوفي المقعَد عن المضيّ، وجبْني المُحجم عن الإقدام، وألمي الذي لا ينفكّ.

إنّ القعود ولعنَ الحظّ والعالمِ بأسْره- على ما فيه من ثقل مشاعر الألم والغضب- أيسرُ من البقاء صامدًا،

والمُضيّ وألمك وحممك، فأنْ تتحمّل أعباءك أشقّ من أن تغضبَ وتثور عليها، وعلى مَن حمّلك إيّاها.

بالأمسِ القريب أقولُ قولَ مَن أضنته مشقّة الطريق، وطول السفر. أواجب عليّ مواجهة العالم؟ ثمّ ما ألبث ناهضةً أواجه بشجاعة.

١٤/٢/٢٠١٩

---

(22) موريس ويست، من روايته: «حذاء الصياد».

(٤٧)

عزيزي غيث:

الألمُ يفتك بنفسي وجسَدي، وأنا تعبتُ من التّعب يا صاح. أما في تلك الحياة متّسعٌ للراحة؟! تعبتُ من المقاومة يا عزيز، ومِن السباحة عكس التيار. إن تيارَ المشاعر الجارف يقودني للانهيار والاستسلام.. يقودُني لرفع الرايات البيْضاء، ومغادرةِ المسرح قبلَ بدء العرض.. يقودني لنسفِ كلّ محاولاتي المُضنية للحياة، والارتماء في أحضانِ الموت، وأنا أصارع الموج العاتي، وأحاول التمسكَ بكلّ ما فيّ من ألم ووَهَن بقشّة؛ علّ فيها النجاة!

أنا طريحةُ الفراش بعدَ أنْ دبّ الألم في عظامي.. وألمُ العظام لا يطاق. أشعر وكأنّ أحدهم يهشّمها بالمَطارق.. الآلام تتداعَى عليّ من كلّ حدب وصوب. وأنا لم أعدْ أحتمل.

دعْك من كلّ هذا، ولأبشّرك بنجاحي في الثلاثِ موادّ الذين رسبت بهم العام الماضي.. وها قد بقيَ على تخرّجي اجتيازُ مادّتين.

ادْع لي أن تمرّ تلك الأيام بسلام، وألّا يعرف اليأس لنفسي طريقًا.

٨/٣/٢٠١٩

(٤٨)

عزيزي غيث

قلْ لي بربّك.. لمَ أختار الطرقَ الوعرة والأشدّ صعوبة وأفضّلُها على السهلة اليَسيرة؟! لمَ أفضّل المقاومة بدلًا من الاستسلام؟! لمَ أختار الحياة بدلًا من الموت؟!

قلْ لي.. متى ينتهي كلّ هذا البؤس؟! متى «أعيدُ أمانة التراب وأطلق العصفور مِن صدري نحو بلاد شمس؟!»(23)

أنا متألّمة غاضبة، وأريد أن أحرقَ رسائلي إليك- تلك الشاهدة على ألمي وعنائي-، ثمّ أنتحر، إنّني أشعر بالعبثِ تجاه كلّ محاولاتي للتعافي، أشعر أني أركضُ وراء سراب، وأنّ التعافي مجرّد وهْم.

أودّ لو أصرخ حتّى يبحّ صوتي.. أنْ أركض في الشوارع كالمجانين.. أن أتخلّى عن كلّ ما هو منطقي أو حكيم.. أن أنتزعَ عقارب الزمن اللعينة، وأثور على الوجود الأحمق، وأحرّر روحي من ثقل الجسد.

أنا لا أهذي، بل جادّة للغاية.. ربّما حينما أفعل أنعمُ بقليل من الراحة، ويهدأ ذاك الجحيم المُشتعل في رأسي.

يقولون: كفاكِ كآبة! ولا يعلمون أنّي أتلظّى بكلّ حرف

أكتبه، وأن ذاك المكتوبَ قطرةٌ في بحرٍ من المعاناة، وأني أشدُّ البشر توقًا للشعور بالجدوى، والقيمة بدلًا من العبث.

٩/٣/٢٠١٩

عزيزتي:

أكتبُ إليك كتابةَ محبّ باعثُه الشوق، تتداعى أحرفُه منسكبة يكسوها الحنين لزمنِ الوصل.

أمّا بعد، فقد اعتراني الأسَى، واستبدّ بي الحزن بعدَ رسالتك الأخيرة، وقد أجابَ المتنبي أسئلتك الحيرى، فقال:

كلّ يوم لك احتمال جديد

ومسيرٌ للمجـد فيه مقام

وإذا كانت النفوس كبـارًا

تعبت في مرادها الأجسام(24)

يا عزيزتي، ستتقلّبين بين إيمانٍ وكفر، ويقينٍ وشك، وقيمة وعبث، حتى يأتي ذاك اليومُ وتري النصرَ المبين. ما يهمّ ألّا تتزعزع قدميك، أو تولي عن الطّريق، وتذكّري ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(25).

مُبارك عليك النجاح.. عسى الطمأنينة تحلّ بقلبك، ولا يعرف اليأسُ طريقًا لنفسك.

---

(23) نبيل صالح.

(24) المتنبي.

(25) سورة الشورى

(٤٩)

عزيزي غيث:

الأحرفُ تراودني عنْ صمتي، وداعي الكتابةِ يستنفزّها فتتداعى بصخب.

وعلى ذكْر الصّخب، فأنا مُحاطة تلك الأيام بشياطين صغار؛ لا يكفون عن العِراك والتّنازع، والمناداة في لحظةٍ واحدة «ميس... ميس».

أتعجّب من تلك الطّاقة التي لا تنضب، وذاك الفضولِ الجامح، والانصياع من أجلِ قطعة من الحلوى، صحيح إنّه إذعانٌ مؤقّت- لا يصمد لأكثر من خمس ثوان- بيدَ أنّ المكافآت تغريهم.

وأمّا عن خيالهم فقد فاقَ التوقّع. يقصّ أحدهم خبرًا فيتداعى خيالُ رفاقه يختلقون القصص، وحاديهم الغيرة.

يقول جاسر: أنا زرتُ الكعبة. فيباريه عليّ: وأنا زرتها، وكانت الصراصير تغطّي الأرضية. فيصرخ مروان: وأنا زرتُها وشاهدت خيوطًا كثيرة على الأعمدة، وعنكبوتًا صغيرًا.

أعترفُ إليك بأنّي بدأت أحبّ أولئك العفاريت الصغار، وأشتاق إليهم! وفي الوقتِ ذاته يُزعجني صخبُهم ونزقهم، فأقول: جاءتها داهيةٌ مَن تريد الخلف!

٢٢/٣/٢٠١٩م

(٥٠)

عزيزي غيث:

في الكتابةِ إليك سلوى عظيمةٌ لنفس، ومتنفّس في الكربات، وباعث من المهالك.

هنا، وحسب.. لا أريد لعقلي أن تنقطعَ أفكاره، بل أريد الثرثرة في كلّ ما كان وما يكون. أريد أنْ أمتلك فضولَ الأطفال ودهشتهم.. أن ألقى الحياةَ بقلب مُحب، وأقبَلُها بمحاسنها ومساوئها.

كثيرًا ما أثور على قدَري، وأغضب، ويتبادرُ لذهني سؤال ملح (لم أنا؟!) و(لم الاكتئاب)؟!

لمَ لا يكون مرضًا آخر يفهمه الناس، ويتفهّمون معاناته، وما يكابده المرء في سبيلِ الصمود في وجهه؟!

لكنّني يا عزيزي أذكّرُ نفسي بتلك الرسالة التي تثقل ظهري، والتي أحسب أني اخترتُ من أجلها. أذكّر نفسي بموهبتي التي منحتها لأعبر من خلالها عن تلك المأساة، فتكون تلك الأحرفُ مواساة لرفقاء الطّريق الوعر، ورسالة مضمونها أنّ ثمّة مَن خاض الطريق، ويتفهّمكم، ويبشّركم بنصر قريب.

إنْ آنست تلك الرسائل وحشةَ إنسان، فهذا تجسّد المعنى في أبهى صوره بالنّسبة لي. أحببتُ أن أكون

حقيقيّة هنا، أغضب وأهدأ، وأثور وأتريث، وأحزنُ وأسعد. أنْ أكون إنسانة بجانبي الطّين والروح.. لا أتجمل، ولا أدعي قوّة دونما ضعف.

يا عزيزي: «جزءٌ من نفسي يريد أنْ يهزمني، وجزء آخر يناضل ألا أنكسر. أدركتُ كم أنا ضعيف، وكم أنا قويّ في آن واحد. شجاعة وخوف، أمل ويأس، سيطرة واستسلام.» (26)

٢٣/٣/٢٠١٩م

---

(26) د/عادل صادق.

(٥١)

عزيزي غيث:

إنّ بداخلي امتنانًا عظيمًا لتلك اللّحظات التي أتيتك فيها مثقلة، مثخنة بالجراح، ففاضتْ أحرفي عندَ بابك تشكو وتئنّ. هذه الرسالة الواحدة بعد الخمسين يا عزيزي، وإنّه شيء جدير بالاحتفاء عندما أفكّر بما يجعلني أشعر بالقيمة والجدوى أجدُ رسائلي إليك الوحيدة التي تغمُرني بالمعنى. لا أتمنّى شيئًا بقدر أنْ تنشر تلك الرسائل، فيقرؤها القاصي والداني. حين أطالعها أشعر بالفخر والدّهشة! أحقًّا أنا مَن كتبت هذا؟! وما ألبث أنْ يدركني الغرور فأقول: كم أنا عظيمة! رأيتك ضاحكًا من قولي. سعيدة أنّي سببٌ في رسم تلك البسمة على ذياك الوجه.

لمْ أخبرك أنّي كنت أقرض الشعر.. أتمنّى يا عزيزي أن أعودَ بمحاولات جادّة وقصائدَ طوالًا بدلًا من الأبيات المنثورة ها هنا وهناك!

عندما أعودُ بالزمن للخلف أرى لطفَ الله وجبرَه اليوم. أرى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (27) جليّةً ملموسة. أرى أنّ السعي مفض لبلوغ الورد، وأنّ لكلّ علة ترياقًا!

لقدِ اكتشفت أنّ في الحياة ثمّة متّسعًا للسعادة، وما

علينا إلّا اتخاذ القرار لاقتناصه. أن نحرّر نفوسنا من مخاوفها، ونجرّب الانجراف بدلًا من التمنع خشيةَ الألم. أنْ ننغمس في اللحظة، وننسى ما كانَ وما يكون. أن نكفّ عن الحُكم عليها ونعيشها بكلّ جوارحنا. أنْ نرضى بأنصافِ النتائج، فنرضى اليوم بانزياحِ الشّعور بالألم بعدَ نشاطٍ سار، فنجني في محاولةِ الغدِ سعادةً خالصة.

٢٥/٣/٢٠١٩م

---

(27) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٥٢)

عزيزي غيث:

مُشتاقة إليك، وإلى الأمنِ والأنسِ الذي يتنزّل عليّ حينما أكتب لك.

كيف هي الحياةُ معك؟ أمَا زالت تغيّر أثوابها كما الغول؟!

إذا أحسنتْ يومًا أساءت ضحى غد

فإحسانُها سيفٌ على الناس جائر

تربُّ الفتـــى حتّى إذا تمّ أمـرُه

دهتْـه كما ربّ البهيمـةَ جازر(28)

كيفَ أنت؟ سعيدٌ أم راضٍ؟ حزينٌ أم صابر؟

قلْ للكون إنّي قادمة، وإنّه سيفسح لخطواتي الشجاعة، أخبره أنّي أعدّ العدة، وسأنقش اسمي على جداره، احْتفِ بخطواتي يا عزيز، وأسْمعني دويّ تصفيقك، فأنا بك!

كنْ بخير لأجلي، قاومْ علّك تصل، أبشرْ فالقادمُ أبهى، عشْ لليوم، وتناسى الغد! سلامي إليك، ووعْدي بلقاء قريب، علّنا نطيب ولا نحزن.

٣/٥/٢٠١٩م

(28) محمود سامي البارودي.

(٥٣)

عزيزي غيث:

أودّ أن أبكي. أمنيةٌ بسيطة للغاية، بيدَ أنّها صعبة المنال.

الدّمعُ نزفُ الروح، فما أقسى تجلّطه ببقايا روح.

كيف أنتَ بعدَ استلام الرسالة؟ أرجو أن تكون قد خفّفت بعضَ العبء عن كتفيك. الحياةُ تطحننا كما يطحنُ الرحى القمح، والسعيدُ السعيدُ مَن استطاع رغمَ كلّ شيء أن يطلقَ روحه لتحيا.

أنا متألّمة للغاية يا عزيز. الألمُ متغلغل في أعماقي، أتلاهى عنه بالانشغال، حتّى إذا خلوت لاحقتني الغصص.

بدأتُ المواظبة على المذاكرة بعدَ لأيٍ. يخونني عقلي بقلّة التركيز، وبطء الاستيعاب، وما بيدي إلّا المثابرة رغم كلّ شيء.

مازلتُ أحيك الفساتين، أصيبُ مرّة، وأخفق مرّة، وأصبر مرارًا حتّى أتمّ العمل. وعنْ أطفالي الصغار، فقد بدؤوا يتمّون الحفظ. وسعادتي بهم فاقتْ كلّ تعب.

الحياةُ بدأت تدبّ بعدما كانت تخبو، واغتالَها الموت. وأنا فخورة بما حققت من نجاح.

يا غيث، عسى اللهُ يبدّد وحْشتك، ويبدلها أنسًا.

٩/٥/٢٠١٩

(٥٤)

عزيزي غيث:

أتعلمُ كيف تكون السباحةُ عكسَ التيار؟! أنْ يجرفك الموجُ باتجاه، وتعانده لتصل لاتّجاه معاكس! لي عامان أسبحُ عكس التيار.. أقاوم فأتقدّم، وأقاوم فأقع.

الحزنُ لا يكفّ عن زيارتي ليلًا، وطائره يغرّد لحنه الحزين داخل صدري.

أنا في ذلك الركنِ القصيّ من العالم أرتجفُ من الوحدة، وتغتال الوحشة أنسي واطمئناني.

قرأتُ للطبيب شهاب الدين الهواري اليومَ مقولة يقول فيها: (ما لا يفهمه الكثيرون أنّ تجربة الألم لا بدّ أن تختبر حتّى النهاية، وهذا هو الطريق الوحيد لتجاوزها، ومحاولة التّخدير والإنكار ستنغّص عليك تجارب حياتك.

مثل الخرّاج لا بدّ أن يفتح، ويتمّ الضّغطُ عليه حتى إخراج آخرِ قطرة قيح.

من حقّك أن تشعر بالفقد، وأن تنوح على نفسِك، وتشعر بالوجع النفسي. مِن حقّك أن تعبر عن ألمك).

قد أصابتِ الجُملة موضعًا عميقًا في نفسي! أنا من الكثيرين الذين يحاولون إنكار ما يعتملُ في صدورهم

إلى أنْ يفرض نفسَه بالانفجار، فيحملني إلى التفكير في إنهائه بأيّ طريقة مُمكنة بعدَما يعيل صبري، بدلًا من السماح للنفس باختباره حتى النهاية. المؤلم أنّ القيحَ غزير لا ينتهي، وقد طالتْ عملية التطهير المصحوبة بالوجع. الألم كبير، والمُفردات عاجزة، وأنا تعبتُ من التّعبير عنه، وحسبي أنك ترهِفُ السمع، ولا تملّ!

٢٤/٥/٢٠١٩

(٥٥)

عزيزي غيث:

الحزنُ يستنطق صمتي لأبدّده بالكتابة. الكلام أصبح مكرّرًا، ولم يعدْ في جعبتي ما يضيفُ معنى جديدًا. إنّني أكتب للكتابة ذاتها، فإذْ بالمعاني تتفجر، وسيل الإلهام ينهمر. أخطّ الحروف وما أنا بالتي تدري ماذا يدورُ بداخلها، فضلًا عن ماذا تقول. أبدأ بفهم كلّ شيء بعدما أرى الحروفَ متراصّة أمامي؛ تخبرني بما يعتمل داخلي.

أتعلم.. حاولتُ جاهدةً غرسَ البذور بعد أن أعياني الحفرُ عميقًا، وها أنا أتعهدها بالرّعاية، وأمنّي نفسي بذاك اليوم الذي أرى فيه الثمرةَ أمامي حلوة يانعة.

إنّ عملية الحرث، والبذر، والريّ تحتاج الكثير من الجهد والصبر، وأحسبني أمتلك مِن الصبر ما يكفي لانتظارِ غير المرئي، وتبشير نفسي بقدومه، وإن لم يكن لذاك القدوم دلالة ملموسة.

أقولُ لنفسي: ستغدو الشجرةُ يافعة، مُمتلئة بالأغصان المتفرعة، محملة بالثمار اليانعة، متفيّأة بالظلّ العميم. ستكبرُ الشجرة وتغْدو مستراحًا للمتعَبين. ستشيخ الشجرة، وتتلمّسين تجاعيدها وندوبها؛ مفتخرةً بهذا الجلد، وتلك الرسالة التي ما فتأت تؤدّيها. ستظلّ شامخة أمام الرياح، ومعاولِ الهدم، وتلاطم الأنواء.

وأنتَ يا غيث ستفرحُ بي، وتفاخر! سلامٌ عليك أينما حللت، وعسى لطفٌ من الباري يحفّك.

٣٠/٥/٢٠١٩

(٥٦)

عزيزي غيث:

إنّه يونيو- حزيران- يطلّ علينا من جديد، لأتمّ عامي الثالث بعد العشرين. عام ليس كأيّ عام؛ تعلّمت فيه كيف تنتزعُ الحياة من براثن الموت، وكيف نخلق لنفوسنا متّسعًا للتنفّس، والفكاك من قيدِ الألم. تعلّمت أنّها مهما ضاقت فمعَ كلّ ضيق فرجٌ، ومهما اشتدّت الظلمة وطالت- حدّ اليأس من انبلاج النور- فسينبلجُ النّور رغمًا عن أنفها. تعلّمت أنّ الحياة تحتاج منّا الشجاعة، ولا ترحّب بالجبناء، وأنها تعطي الأطول نفسًا، والأشدّ صبرًا.

ها أنا أبدأ ربيعي الرابع والعشرين بعدَ تساقط أوراق الخريف الماضية. أؤمن أن لله حكمةً فيما مضى، وله جبرٌ في قادم الأيام. أؤمن أنّي يومًا سأتحسّس ندوبي دونما ألم، ويبقى أثرها فهمًا ونضجًا.

ها أنا أحاول عقدَ هدنةٍ مع الحياة، وأعملُ جاهدة على قبولها بشروطها؛ عسى يكلّل مسْعاي بالنجاح!

كلّ عام وأنتَ بخير يا عزيز. عساك سعيد مُستبشر.

٤/٦/٢٠١٩

عزيزتي

كيفَ أنت يا حلوة؟ أرى بشرياتِ نصْرك تلوح في الأفق، وإنّي بذاك سعيد مستبشر.

كلّ عام وأنتِ مقاومة صامدة رغمَ المشاق والصعاب.

يا عزيزتي، الناسُ ينبهرون بالناجح، ويصفّقون له، ويلتفّون من حوله، ولا يخطر في بالِهم أنّ لذة الظفر سبقها ألمٌ ووعورة الطريق.

كوني حقيقيّة في نجاحك كما كنتِ في ألمك. افرحي به وضَعِيه وسامًا على ندوبك. كوني ممتنّة لرفاقِ الظّلام الذين خرجوا بكِ إلى النور، فلا ينسينّك الفرح رفقاءَ الدّرب. وليقرّ في نفسك أنّي سعيدٌ بك، جذل.

(٥٧)

عزيزي غيث:

إنّها الثانية والنّصف بعد منتصف الليل، والنعاسُ يداعب جفوني غيرَ أنّها لا تغضي. الألمُ يعصف برأسي سالبًا إيّاي لذة النوم.

لمَ يعادي البشرُ بعضُهم بعضًا؟ لم يقتلُ القويّ الأضعف منه بسلبه سبل الحياة الكريمة؟ لمَ لا يتراحم الناس؟

إنّني أخاف أن أغْدو ظالمةً في حياة أيّ شخص، وأتحرّى تصرفاتي كي لا أؤذي عن قصد! إنّ الأذى واقعٌ.. واقع، لكنْ شتّان بين مَن يؤذي عن عمد- والأدهى تلذّذه بذاك- ومَن يصدر الأذى منه لا عنْ قصد.

لا أدري على ماذا تنطوي نفسُ الظالم، وكيف يظلم هكذا بدم بارد؟!

قديمًا كنت أقرأ القصصَ وأطالع الكارتون متابعةَ الصّراع بين الخير والشر، لكن طالما كانت الغلبةُ للأخيار. لمْ يخبرونا أنّها محضُ مشاهد من الخيال، وأنا سنكبر ونصدم بواقعٍ ينتصر فيه الشرّ ويستأسد.

أتساءل دائمًا عنْ جدوى وجودِ الأضداد، ويقولون بضدّها تتميز الأشياء. لولا الأسود لمَا عرفنا الأبيض،

ولولا الشرّ لمَا عرف الخير، بيد أني لا أقتنع.

لله حكمةٌ في الأمر، فلو شاءَ لجعلنا أمّة واحدة، لكنه لم يشأ، فبلينا ببعضنا البعض.

للكونِ قوانينه ومناطحتُها لن تغيّر من حقيقة وجودها، وإنّ امتحاننا يكمن في الصبر. ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (29)

٩/٦/٢٠١٩

---

(29) سورة الفرقان

(٥٨)

عزيزي غيث:

يا مرفئي الآمن، وحصْني في مواجهة الكربات. الحياةُ تموج بين جوانحي، والنور يتسرّب رويدًا إلى الظلمة. الحياةُ أصبحت ملوّنة بعدما كان يكسوها السواد. أحبّ الأخضر، وأسألُ الرّب قلبًا يانعًا وافرَ الظلّ أخضرَ تغمره الحياة.

أحبّ الأخضر حين يكسو المساحات على مدّ البصر، وينساب من قمم الجبال إلى الرّوابي وحوافّ الأنهار، فيبهجُ العينَ ويسرّ القلب. يشعرني بانشراح في الصدر، ورغبة في الركض حتّى التعب.

في الحياة مسرّاتٌ جمّة؛ كافٍ تأمّلُ الأشجار العتيقة، وتلمّس تجاعيدها ليبعث في داخلي الشعورَ بالأصالة والشموخ والبهجة.

مُدهشٌ تأمّل البحر وموْجاته الوليدة التي تضربُ بعضها بعضًا، ومبهجة أشعةُ الشمسِ حين تنعكسُ عليه ذات شروق، وأشعتُها البرتقالية المحمرة ذات الغروب.

في الكون لوحاتٌ فنية سالبة للبّ تملأ القلبَ انشراحًا، وتجلوه من وعثاء السفر، وتحمله بزاد المسير.

يا غيث، علّ روحَك يلامسُها شيء من جمال، فتنشرح!

١٠/٦/٢٠١٩

(٥٩)

عزيزي غيث:

تنفّس الصبحُ ففرحتِ العصافير، وراحت تغرّد مرفرفة بأجنحتها. استيقظ صغارها مِن نومهم على تلك الألحان الشجيّة مُبتسمين راضين. نفضتِ الأمّ الكسل وتركت عشّها الصّغير، وراحت تسعى لرزقِها ورزقِ أبنائها. تروح وتجيء وتنقب ها هنا وهناك لتعود بطانًا محمّلة بطعام الصغار. يفتح الصغار أفواههم متلهّفين، فتقسم الرّزق عدلًا بينهم. سبحان مَن جعلها تغدو خماصًا، وتروح بطانًا!

تتسلّل أشعةُ الشمس الذهبية مداعبةً ستائر البيوت، ويهبّ نسيم الصباح معلنًا عن بدايةٍ جديدة وسعيٍ دؤوب. لكلّ منّا ثغره الذي يقف عليه حارسًا حماه، ولكلّ منّا وجهتُه التي وإنِ اختلفت يجمعُها نيّة واحدة؛ إعمار تلك الأرض.

يحضرني قولُ الله تعالى على لسان الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾(30) وردّ المولى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.. إنّها الأمانة التي ناءت بها السماءُ والأرض والجبال، وأبيْنَ أن يحملنَها، فحملها الإنسان!

وأنا أتساءل عن الثّغر الذي وجدت لأرعى حماه، وأرجو

أنْ أحمل الأمانة ولا أكون ظلومًا جهولًا. إنّ الوجود مسئولية كبرى، وأمانة عظيمة، وأرجو أن أكون لها أهلًا!

١١/٦/٢٠١٩

غالبًا يجب عليك أن تدركَ أنّك عظيم لثباتك بنفس القوة رغم كلّ هذه الزلزلة!(31)

---

(30) سورة البقرة.

(31) فيودور دوستويفسكي

(٦٠)

عزيزي غيث:

إنّها الحادية عشرة. لا أدري كيف ينفرطُ الوقت سريعًا هكذا. تتعاقب الأيام تليها الأشهرُ والسنون وما تزيدنا إلا حزنًا وصقلًا.

الزمنُ لا يتوقّف عن المضيّ قُدمًا. لا أدري أمَا يدركه التعبُ من طول المسير؟! أما يشيخُ وتكثر تجاعيدُه كما نشيخ؟!

إنّها الحادية عشرة، وثقلٌ هائل جاسمٌ على صدري. الحزنُ لا يكفّ عن غزو قلبي، وأمّا الفرح فزائرٌ كالرّيح لا يلبث أنْ يهب، فيلمسُك ويمضي.

إنّها الحادية عشرة، ويومٌ جديد مؤذِن بالقدوم. وما ارتحنا من عناءِ الحالي لنستقبل الآتي!

إنّها الحادية عشرة، ورأسي مُثقل بالمعلومات التي زججتُها فيه عنوة، آملة أنْ أعيد استرجاعَها في ورقة الامتحان. لقد تعبتُ من الدراسة، وأحلمُ بالانعتاق منها، أحلم بالتخرّج.. للحرية ثمنها، وأظنّني أهل لها.

إنّها الحادية عشرة والربع، مرّت ربع ساعة وأنا أكتبُ إليك، ولكنني لم أنتبه لتتابع الدّقائق، فالزمنُ يقف عندَ الكتابة إليك ويعودُ يدور، فيدهسني من بعدك.

سلامٌ لك مادمت حيًّا، وعزاء خالص للميّت فيك.

١٤/٦/٢٠١٩

(٦١)

عزيزي غيث:

أتى الليلُ ليذكّرني بصراعاتي غيرِ المنتهية، وحزني الذي لا يتبدّد، وألم رأسي الذي لا يطاق.

ما مِن جديد أخبرك به. فقط أكتبُ لأجل السلوى.

أكتبُ لأجل الوحدة المتغلغلة داخلي.

أكتبُ لأجل الحزن الذي لا يبرح.

أكتبُ لأجل التّعب الذي لا ينتهي.

أخشى أن تسأم مني...

أخشى أن تملّ حديثي.

أريد أنْ أغرق في النوم، فأفتح عيني على عالمٍ غير العالم، وبشرٍ غير البشر. أريد ولوْ حجرًا يحرّك البحيرة الراكدة. إنّ التكرار باعث للسآمة والملل.

جُملي قصيرة.. جُملي قصيرةٌ بما يلائم تعبي.

رسالتي قصيرة.. رسالتي قصيرة بما يلائم سأمي.

١٦/٦/٢٠١٩

(٦٢)

عزيزي غيث:

يخيّل إليّ أنّ داخل رأسي كائنٌ شرير، ضخم الجسم، دميمُ الوجه، ليس فيه من خصالِ الحُسن شيئًا، ولا من صفات الخير شيئًا.

إنّه ثاوٍ داخلَ عقلي يجعل رأسي يأكل بعضُه بعضًا من الصداع، ويزرع في رأسي الأفكارَ السلبية عن النفس، عن الكون، عن البشر، عن الله!

إنّه أيضًا لا يكفّ عن البكاء داخل عقلي. هذا الكائن يسلبُ جفني النوم، وجسدي الرّاحة، ونفسي السكينة. إنّه يقضي عليّ ببطء وبلا رحمة. أنا ضحيته المحظوظة لأنّي في طريقي للتعافي منه مِن بين الكثيرين من ضحاياه الذين وقعوا في شركه ومازالوا عالقين.

إنّه يفقد رأسي التركيز، ويجعله متعثّرًا، فلا أستطيع إدخالَ المعلومات وإن أدخلتها بعدَ لأيٍ لا أستطيع استرجاعَها بعد أن أودى بها النسيان.

إنّه يجعلني أزدري ذاتي وأحقرُها، وأرغبُ بإلحاح الخروج من جلدي. إنه يشعرني بالذّنب، والاستحقاق الدّائم للعقاب والألم. إنه يشعرني بانعدام القيمة، وغياب المعنى، واللّا جدوى. إنّه يجعلني أشعرُ بالوحدة بين البشر، والانعزال عنهم.

أنا أصارعُه منذُ سنين طويلة وتعبتُ منه، إنه يسرقُ الفرح ولا يهب إلا الكآبة.

قدْ كان عقلي مستنزفًا بسببه، وجسدي كذلك. في أيامٍ كانت الأغراض تسقط من يدي متكسّرة بعدَ إمساكي بها. كنت أطفئ عن القدر النار، وأمسك به مباشرة بيدي. فقدان تامّ للتركيز.. فقدان تامّ للسيطرة نفسيًّا وجسديًّا. إنه شرسٌ يقضي على ضحيته ويسلبها سبلَ الحياة ويسلمها للموت.

إنّه داءٌ لعين، لا يشعر بمعاناته إلّا مَن ذاقها حقًّا، ومهْما حاولت الوصف ستتعثر بي الأحرف.

١٨/٦/٢٠١٩

(٦٣)

عزيزي غيث:

هل ذقتَ من قبْل شعورَ التّخلي؟! أن يتخلّى عنك مَن كان مرفأ لروحك. أن تترك يدك في منتصفِ الطريق، فلا ما اكتسبتَه يمنحُك حرية الرجوع، ولا أنت قادرٌ وحدك على التقدّم. تظلّ واقفًا وحيدًا أعيتْك الحيلة، وشعورُ الخذلان ينخر صدرك.

(نحن نحتاج مَن يمشي معنا الطريق، لا مَن يمشيه بدلًا منا)(32)

وفي زمالة المُدمنين المجهولين قاعدة تقول:

«هذه حقيقة لا نناقشها، لا أحد يستطيع التعافي بمفرده».

نحتاج دائمًا لرفيق ومرشد.

الحقيقة أنّي أعيتني الوحدة في الفترة الماضية، ولم أجدْ لروحي مرشدًا، ولا لقلبي رفيقًا، لكنّي ممتنّة للعزيزة حنان التي آنستْ وحشة ليلتي الحزينة، وبدّدت وحدتي.

أنا مُكتئبة، وأشعرُ بالتهيج النفسي، ولا أجدُ بالجوار من أشاركه ذلك.

ممتنّة للأحرف التي تنتشلني من عمقِ المأساة، وتجلوا

عنّي مشقة الطريق.

٢٠/٧/٢٠١٩

---

(32) د/ شهاب الدين الهواري

(٦٤)

عزيزي غيث:

أريدُ أن أذلل الأحبارَ إليك. أريد أن أكتب. ثمّة هوة سحيقة بين جوانحي لا تمتلئ إلّا بالكتابة لك.

أنا متعَبة يا عزيز.

متى ينتهي هذا العناء؟ متى تطيب منّي النفس والروح؟

لقد سقيتُ هذا الطريق بكثيرٍ من الدمع، وحرثتُه بمزيد من الصبر، أمَا آنَ له أن يثمر؟

نفسي رازحةٌ تحتَ عبء من الغضب والألم، فهل يكتب لهما التلاشي؟

أناضلُ في الصباح، ويقتلني الحزنُ في الليل وترافقه الوحدة.

أريدُ أن أسقطَ في النوم فلا أستيقظ. مع أنّ تخيّل الأمر مرعب.. لست أهلًا لتحمل أعباء الحساب.. لست مستعدّة بعد، لكنّي تعبت من التعب يا صاح.

الوجودُ أثقل ممّا أحتمل، وتكاليفُ الرحلة باهظة الثمن، وأنا لا أملك إلا نفسي وخطواتي الحثيثة، فعلّي أصل!

٢٤/٦/٢٠١٩

(٦٥)

عزيزي غيث:

مساؤك جميل كأقحوانةٍ ناصعةِ البياض يتوسّطها البنفسج. تتهادى الأحرف على مهلٍ لتسأل عن حالك. كيف أنت؟

أأخبرُك؟ مازلت تنكرُ ما يعتمل في صدرك، ومازال الألمُ يصرعك حينًا بعد حين، لكنّك ما تفتأ تقاوم.

أنتَ الآن مندهشٌ من إحاطتي بكلّ ذاك. لستُ أقرأ الفنجان، ولا أنجم عن الغيب، لكنه ذاكَ الخافق بين جوانحي يُنبئني عنك، وحدْسي يخبرني في كلّ ليلة عمّا آلت إليه أمورُك أيها المتكتم.

مهْما كتمت ستفضحُك ارتعاشةُ شفتيك، ولمحة الحزن في عينيك، وابتلاعك الغصص. مهْما كتمت ستفلتُ كلمة من بين كلامِك المنمّق، وستعبر عنك بأفضل ما يكون.

أنتَ تجاهد لتعكس الجزءَ المشرق من الصورة، مُتجاهلًا ألمك الذي يفرض عليك صكوكَ اليأس واللاجدوى. يخبرني ألمي بذلك. يخبرني أنّنا نسيجٌ من ألم وأمل، وأن الكلماتِ لا تخرج صادقة هكذا إلّا من عمق ألم ما.

لا تنكرْ يا عزيزي، تصالحْ مع ألمك، واسمحْ له بالظهور، وإيّاك والاستسلام له.

أحبّك أيها الجسور.

٢٦/٦/٢٠١٩

(٦٦)

عزيزي غيث:

أشتاقُ لشرفة منزلنا القديم. أشتاقُ لجلوسي بها بعدَ منتصف الليل، والهدوءُ مخيّم، والنّسمات عليلة، وصوتُ الشّاحنات يبدّد الهدوء بين الحين والآخر. أشتاق تأمل النّجوم، والانفصال عن جسدي بينهم، فكأنّي روح سابحة في الملكوت ليس فيها من ثقل الجسد شيئًا.

الشّارعُ فسيح تمامًا، كدواخلي التي أتيه فيها. الليل مُعتم تنتشلني عتمتُه، وتشغلني عن عتمَتي الداخلية. النجومُ كثيرة مُتلألئة مُتفاوتة الأحجام. السماءُ مرصّعة متزينة لموعد عزيز وغالٍ.

الشّعر ينسابُ إلى مسامعي عبرَ سمّاعة الأذن. أحفظُ قصائد امرئ القيس وأبي فراس والمتنبي.

عليل الجسـم ممتنع القيـام

شديد السّكر من غير المدام(33)

لكن إذا حمّ القضاء على امرئ

فليس لـه برّ يقيه ولا بحر(34)

تأوبني دائي القديـم فغلسـا

أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا(35)

ليال خلت لها من الذكرى وافر الحظ، ومن الحنين ما يستبدّ بالنفس، وعلنا نعود.

٢٧/٦/٢٠١٩

---

(33) المتنبي.

(34) أبو فراس الحمداني.

(35) امرؤ القيس.

(٦٧)

عمتَ مساءً يا عزيز. أثرثرُ كثيرًا هذه الأيام، ويا لسعدي إذ أنثرُها إليك.

أشعرُ بامتنان لألمي الذي صنعت على عينه، ولذاك الطريق الذي ساقني الله إليه. أشعرُ بالرّضا عمّا آلت إليه الأمور، والاطمئنانُ تجاه ما يحمله الغد وإن لم يكنْ أجمل.

أنا في حالةٍ نادرة من التّصالح مع النفس والكون. أشعر بحبّ وامتنان عظيم لذاتي. يقول دوستويفسكي «إنّ أخشى ما أخشاه ألّا أكون جديرًا بآلامي»(36) وأنا أشعر بالفخر لأنّي كنت- ومازلت- جديرةً بذاك الألم.

يا غيث، لقد ظهر العودُ الأخضر، وبدأت الأوراقُ تنبت. وأنا سعيدةٌ مُنتشية. أعدك أن أتعهّدها بالسقاية، وأنْ أخلّصها من الآفات حتى تؤتي أكلها.

مُمتنّة لك بقدْر قبولك غيرِ المتناهي. دمتَ قريبًا يا عزيز.

٢٨/٦/٢٠١٩

---

(36) فيودور دوستويفسكي

(٦٨)

عزيزي غيث:

أصبحتُ كثيرة السأم والملل.

أحتاجُ دائمًا لشيء مُختلف يحرّك الراكد. الحقيقة أنّ كلّ الأشياء المختلفة أصبحت مملّة. وأنا أبحثُ عن مختلفٍ جديد؛ نكهة مميزة، فعلة مجنونة، لقطة جميلة، طبيعة آسرة، رسم مبدع، موسيقى ساحرة.

أبحث بعد كلّ جزر عن مدٍّ جديد، وأحبّ الأمواج المتتابعة المتقلبة. السكون جميل، لكنّ استمراره بغيض.

أحبّ الأفكار المتتالية، وصخبها في رأسي، وانسكابها على الأوراق بغتة، وشعور الرّاحة بعدها وكأنّي كنت أجري في مضمار.

أنا أكتبُ بهدوء وتؤدة، والأفكار تتوالى على مهلٍ بلا ألم، بلا مخاض. رأسي خامل، وجسدي مُسترخ، والنومُ يداعب جفوني لأسقط فيه.

٣٠/٦/٢٠١٩

(٦٩)

عزيزي غيث:

فكّرت مرارًا كتمَ كلماتي داخل صدري، والخلود للنوم كما أفعلُ عادة. أغفو بهدوء ووَدَاعة، وكأن لا شيء يعتمل داخلي.

إنّ التعبير عن المشاعر يُعطي لها بُعدًا آخر، ويجعلها في حيّز الوجود بعيدًا عن أيّ حيلةٍ دفاعية، ويحتاج الأمرُ لكثير من الشّجاعة للسماح بعبور تيارها الجارف.

وأنا أكتبُ إليك متخلّية عن دفاعاتي، أنصتُ للصوت العميق القادم من أبعد نقطة في وجداني، وأصوغه لك حروفًا حروفًا.

أنا يا غيث ممتنّة لله إذْ ساقني إليك. ممتنّة لليوم الذي خرجت فيه باكية من عيادة الطّبيبة بعدما أسمعتني ما يوهِنُ الفؤاد ويكسرُه. ذاك اليوم دعوتُ الله كثيرًا وأنا هائمة على وجهي في الطرقات، فساقني إليك.

«الله لطيف بعباده"(37) يهبنا أسبابَ النجاة ويسخّرها لنا في عمق المحن. مرت عليّ أيام خلتُ فيها أنْ لا حياة بعدها، فوهبني اللطيفُ حياة أكثر أصالة وعمقًا.

يا غيث، تضيقُ بنا النفسُ والأرض، ويبقى اللهُ الواسع

عوضًا عن كلّ ضيق.

١/٧/٢٠١٩

---

(37) سورة الشورى

(٧٠)

عزيزي غيث:

جئتُك اليوم بخبرٍ سار؛ قمتُ وعبّرت عن مشاعري لأوّل مرةٍ أمام جمعٍ من الناس. سعيدة أنّي امتلكتُ القدر الكافي من الشّجاعة لأفعلها. كانت تجربةً مميّزة، وغمرني شعورُ الأمان عندما نظرتُ في عيون الأحبة؛ ندى.. فايزة.. سلمى.

إنّ الحياة فرص، وأنا سعيدةٌ لاقتناص الفرصة.

مشاعرُنا دائمًا ما تلحّ علينا تطلبُ اعترافنا بها. تطلب قبولَنا لها، سواء فعلنا ما تمليه علينا أم لم نفعله.

يقول فرويد: (المشاعر التي نكتمُها لا تموت، إنها تُدفَن حيّة ثمّ تطلّ علينا بعد ذلك بصورةٍ أكثر قبحًا).

أنا مُغرمة بعلم النفس من قبْل معرفتي به. دائمًا ما كنت أحبّ الغوص داخل مشاعر الآخر، وفهم ما وراء تصرّفاته المعَلَنة، وقراءة معاناته التي يمرّ بها وأدّت به للتصرّف بشكل ما.

أما الآن فأنا مولعة باستكشاف عالمي الداخلي الموغل في العمق الغارق في الظلمة.

وكما قال يونج: (من ينظر في الخارج يحلم، من ينظر في الداخل يستيقظ.)

٦/٧/٢٠١٩

(٧١)

عزيزي غيث:

أفرّ من الزمان والمكان ميمّمة وجهي شطرَك. يرهقني البحثُ الدؤوب عن الجدوى والمعنى. أتعثّر بهما أحيانًا فأقتنصهما، وينفلتا من يدي أحايين.

الحياة لا تستحقّ أن تعاشَ إلّا لسبب يبذل في مقابله كلّ غالٍ ونفيس. الحياة في ذاتها بلا معنى، لا يسعُ معناها سوى تردّد الأنفاس. المعنى شيء زائد على الحياة ولا تستقيم إلّا به.

وأنا أجدُ معنى وجودي في الكتابة إليك.. أجدُه في ثمرٍ أجنيه من الصغار بعد طول حرثٍ وزرع.. أجدُه في الكلمات التي تذهلك عنْ نفسك.. أجده في الطبيعة وتأملها.. أجدُه في أثرٍ أتركه في نفوس الرفاق.

يا عزيزي، أنا لا أريدُ أن أكون كعابرٍ مرّ وارتحل، ولم تتركِ الرّيح لوقع أقدامه من أثر. لا أريدُ أن أكون رقمًا زاد فنقص، بل زادَ بالوجود وازداد به.

٦/٧/٢٠١٩

(٧٢)

عزيزي غيث:

غضبي إعصارٌ مدمّر، وعنادي لا حدّ له. أنا أروّض غضبي بالصبر، وأروض عنادي بالحكمة. الصابرُ يجني عاقبة صبرِه بخير ممّا كان يرجوه لو أنفذَ غضبه، والحكيمُ يعرف أيّ المواطن سيجرعه عنادُه فيها العلقم.

الصبرُ والحكمة ليسَا بالأمور الهيّنة، بل إنّني أصارع رغبتيْن متضادّتيْن، كلّ منهما تجذبني لاتّجاه. الأمرُ يحتاج قرارًا، وحبسًا للنّفس عمّا يغايره، وإن حمل النفس على ما يناقض هواها يحتاجُ لإرادة وعزم.

كنتُ غضْبى، بيدَ أنّي خرجتُ للهواء الطلق، ومشيت طويلًا، حتى هدأ الإعصار داخلي.

أنا سعيدة لأنّي لا أسمح لنوباتِ غضبي أن تفقدني ما أندمُ عليه مستقبلًا. أنا فخورة لأنّي قبلت شعوري، وتعاملتُ معه بما يلائمه.

لا يخفى عليك أنّي أحب الشكولاتة الداكنة، لقد كافأتُ نفسي بها.

٧/٧/٢٠١٩

(٧٣)

عزيزي غيث:

في كلّ مرّة أحجمُ عن سؤالك عن حالك. أخافُ أن يفجّر سؤالي ما كان ساكنًا، لكنّي أصبحتُ أؤمن بجدوى البوْح وفداحة الكتمان.

يقول جان باول: «إنّه مع تردّدنا في الإفصاح للآخرين عمّا نحن عليه يبقى في داخلنا توقٌ عميق إلى أن يفهمنا الآخرون. إن تعذّر وجود مَن يقبلني ويفهمني كما أنا شعرتُ أنّي في غربة، فلا مواهبي ولا ممتلكاتي يمكن أن تحملَ الراحة إلي، وحتى لو تحلّق الناسُ جماعات من حولي سيبقى لديّ شعور دائم بأني في غربة ووحشة، وسوف أعيشُ كأني في سجن منفرد»(38)

كيف حالك؟ لا تجبْ باعتياديّة قائلًا أنا بخير. غصْ في أعماق ذاتك، وحدثني عن شعورِك في تلك اللحظة.

إنْ سألتني عن حالي سأقول إنّ في قلبي حزنًا بلا قرار، وفي حلقي تتابع الغصص.

إنّ ثمنَ الكتمان ندفعه من قلوبنا وأرواحنا؛ ندفعه ذبولًا وتآكلًا.

الإنسان كائنٌ تفاعلي، وبقاؤه في بركةِ الصّمت يجعله آسنًا يتداعى عليه الخبث.

٩/٧/٢٠١٩

---

(38) جان باول اليسوعي

(٧٤)

عزيزي غيث:

يخيّل إليّ أنّ بين جوانحي فراغ تهبّ به الريح وتعصف، فلا تجدُ ما تحركه أو تتعثر به. كلّ جهدٍ لأجل ملئه يضيعُ هباء. كلّ الداخل إليه يتسرّب من الجهة الأخرى ولا يترك أثرًا. كلّ المشاعر أشعرُ بها في رأسي وعظامي. أمّا بين جوانحي، فخواء لا يُبقي ولا يذر.

أنا حزينةٌ يا عزيز، وضائقٌ صدري بما يعتمل في نفسي. أشعرُ بالثقل، ولا أقوى على مُمارسة مهامّي. الألمُ ينخر في روحي فتتآكل، وأنا لم أستسلم له.

سمعتُ بعضًا من القصائد، وخرجتُ لأتمشّى في الهواء الطلق، وهاتفت إحدى صديقاتي.. إنّني أبذل جهدي، ولكنّه مُقيم لا يبرح.

رأسي يكاد ينفجرُ من فرط الألم. بالكاد أكتبُ جُملة ثمّ أستريح قليلًا، وأعاود كتابة ما بعدها.

أنا تعبتُ يا صاح، ومع ذلك فقد صرتُ أكثرَ قدرة على تقبل الألم، وأكثر قدرة على التّعامل معه. أنا سعيدةٌ بذلك، وممتنّة لنفسي.

١٧/٧/٢٠١٩

(٧٥)

عزيزي غيث:

في داخلي ثرثرةٌ كثيرة لا يعبّر عنها إلّا بالصمت الطويل. أتجيدُ قراءة الصمت؟ أتجيدُ قراءة غير المنطوق بين السطور؟

كثيرًا ما يعبّر عنّا صمتنا بأفضل ممّا لو تكلمنا. آمل أن تصلك مشاعري في تلك اللّحظة؛ ستجدُها في خطّي المرتجف، وحبري الباهت، وكلماتي غير المنتظمة على السطر.

١٨/٧/٢٠١٩

(٧٦)

عزيزي غيث:

فتيلُ الجنون يراودني عن جذوةِ نار، وأنا أحاول كبحَ جماح نفسي.

الألمُ يبحث عن منفذٍ يتفجّر فيه بعدما ضاقتْ به السبل. لا رغبة لي في الأفعال الاعتيادية، أريد شيئًا يُخرجني عن المألوف. الحياةُ رتيبة ومملة.

أشتاقُ للعبث بالألوان.. أتمنّى لو صرت رسّامة يومًا ما، أقتبس لقطات الطبيعة وأخلدها في لوحة.

أريدُ أن أخفّف آلامَ الناس، وأطبّب جراحهم. لا يشعرُ بالمتألم إلّا مَن ذاق الألم.. الألم. ولا يتأدّب أمام المعاناة إلا إنسانٌ صقله الألم.

أنا متألّمة يا عزيز.. متألمة للغاية. لقد ذقتُ ألمَ الخذلان، وألم الكسر. ذقت ألم الحرمان، وألمَ الهجر. ذقت ألمَ الرفض، وألمَ الاختلاف، فهل يكتب لنفسي برء؟!

١٩/٧/٢٠١٩

(٧٧)

عزيزي غيث:

أنا الآن أفضلُ حالًا من ذي قبل بعدَ أن انتحبت. لقدْ تحرّرت من ثقل الألم الجاثم على صدري. قد كان يقتاتُ على السّاعات والأيام، فتمرّ هباء بعد إفشاله لكل محاولات التّجاوز.

سمحتُ لطوفان المشاعر أنْ يفيض، ويجرف كلّ أسى وحزن. الدموع نعمة، وفقدانها نقمة.

أقدمُ على خطوةٍ جديدة بأرجل مُرتعشة، وخاطر لا يكفّ عن الهمس داخل أذني «ستفشلين.. ستفشلين» أقبلُ الفشل كخطوةٍ نحو النجاح. أحاول ألّا أهابه، وألّا أجعل شبحَه يعرقل خطواتي.

٢١/٧/٢٠١٩

(٧٨)

عزيزي غيث:

أشعرُ أني أليفةٌ ووَديعة للغاية. في حينِ أنّ داخلي ينهش بمخالب الغضب. الوداعة واللّطف قناعٌ أخفي تحتَه بركانَ غضبي. ملامحي حياديّة لا تنمّ عن شيء. وداخلي تتلاطم الحمم.

أنا غاضبةٌ من وجودي في هذا العالم. غاضبةٌ من قوانينه الصارمة. غاضبة لأنه ليس بوسْعي كسرُ بعض القوانين، وأنّ عليّ الانتظار وألمي إلى أن يسمح له بمتنفس.

أحاولُ قبولَ أنّي موجودة. أحاولُ التعامل معه كأمرٍ واقع. غضبي لنْ أجني منه إلّا مزيدًا من الألم. الواقعُ واقع لن يتغير، فقط يمكنني جعله أفضل.

أحاولُ قبول القوانين. أنا شخصٌ جامح لا يحبّ أن يكبل. رغمَ هذا أحاول جاهدة قبول أنّ ثمّة أشياء لا تقع تحتَ نطاق سيطرتي.

في عالم موازٍ أتخيّلني فرسًا يسابق الريح. أحبّ الخيول الأصيلة، وتأسرني تشبيهات امرئ القيس لها في معلّقته. وصفٌ حي، ونقلٌ مباشر تراه بأم عينيك.

وقد أغتدي والطـيرُ في وكناتها

بمــنجرد قيد الأوابـد هيــكل

مكرّ مفــرّ مقــبل مُـدبر معًـا

كجلمود صخر حطّه السيل من عل

كميتٍ يزل اللبد عن حــال متـنه

كما زلت الصــفواء بالمتنــزل

مسح إذا ما السابحاتُ على الونى

أثرن غبارًا بالكــديد المــركل

على العقب جياش كأنّ اهتزامـه

إذا جاش فيه حميه غلـي مرجـل

يطير الغلام الخفّ عن صهــواته

ويلوي بأثواب العنيف المــثقَّل

درير كــخذروف الوليد أمــرَّه

تتابع كفيــه بخيــط موصــل

له أيطلا ظبي وســاقا نعــامة

وإرخاء سرحان وتقريــب تتفـل

كأن على الكتفين منه إذا انتحى

مداك عروس أو صــراية حنــظل

وبات عليه ســرجه ولـــجامه

وبات بعينـــي قائما غير مـرسل

٢٢/٧/٢٠١٩

(٧٩)

عزيزي غيث:

تجرفُني الأمواج بعيدًا بعيدًا، تبتلعني لججٌ من الدهمة. وكما الغريق أحاول رفع يدي بحثًا عن شيء أتمسّك به.. أجد ضالّتي تارة، وتتفلت من يدي تارة. يغطي الماء رأسي فيغمرُني، ثمّ ترتفع رأسي، فأعبّ الهواء. وهكذا دواليك.

هذا هو حالي تلكُم الأيام يا عزيز؛ شديدة التقلّب ما بين حياة وموت.. أرفع رأسي.. أتنفس، فأمتلئ أملًا، يغمرني الماء، فأيأس وأقنط.

وحتّى إشعار آخر، فأنا غرقى أصارع الموج.

يا عزيز، ادعُ وابْتهل ألّا يدركني الغرق، ويكتبَ لي النجاة.

٢٦/٧/٢٠١٩

(٨٠)

عزيزي غيث:

أنا في منتصف الطريق. إنْ كُتب لجهدي السدادُ فسأحْدِث طفرةً في حياتي. أنا خائفة مترقّبة.

تغنّي رشا رزق «إنّ الأمل جهد عمل. والجهد لا يضيع!» وأحاول أن أصدقها!

أنا أعلّق أملي كلّه على ثلاثِ خطوات؛ تخرّجي، تفصيلي، نشر رسائلي إليك. سأسعد أيّما سعادة إنْ سدّدت فيهم.. سأشعرُ بالفرج بعد الجهد، ومرارة الصبر.

يا عزيز، ادعُ لي أنْ أقتنص كوّة من نور تضيء طريقي المعتم.

٢٨/٧/٢٠١٩

(٨١)

عزيزي غيث:

تخيّل لو أنّي فراشة- بهيّة، تسلبُ اللّب- تشرف على الطبيعة الخلابة من علٍ! وتتنزل عليها أحيانًا لتنال بعضًا من جمالها! فراشة خفيفة التنزل، لطيفة المعشر.

أنا في مزاجٍ رائق يجعلني خفيفةً كتلك الفراشة، ويجعل روحي تحلّق مثلها، وتحطّ على كلّ جميل.

٣٠/٧/٢٠١٩

(٨٢)

عزيزي غيث:

الزمنُ شيء نسبيّ غيرُ ثابت، يمكنه أن يتمدّد حتّى يصيبك بالاختناق، ويمكنه أن يمرّ كالبرق.

يقتلنا ساعات الانتظار والترقب، فيمرّ كسلحفاةٍ كسول، ولحظة الأنس يمرّ كنسْمة.

الزمنُ يختلف طولًا وقصرًا تبعًا لاختلاف مشاعرنا فيه.

وأنا ضائقٌ صدري بما يعتمل داخلي، فزمني طويلٌ.. طويل؛ تلظيني الدقائق، وتجرعني الويلات.

أنا حزينةٌ أشدّ ما يكون الحزن، ومضغوطة أشدّ ما يكون الضغط، وسئمت طول الانتظار.

١/٨/٢٠١٩

(٨٣)

كلّ عام وأنتَ الخير يا عزيز.

أحبّ العيد، وأحبّ الفرح به. تأسرني بهجةُ الأطفال، وذاك الجمع المَهيب من الناس لأداءِ شعيرةٍ من شعائر الإسلام؛ شعيرة الفرح، وتعبد بالسعادة!

عساكَ سعيدًا مستبشرًا يا عزيز، ولأتمّ سعادتك؛ لقد تخرّجت من الجامعة بعد لأيٍ ونصب.. لا أصدّق أنّ الخلاص الذي كان حلمًا بالأمس تحقق اليوم.

ادعُ لي أن يتمّ اللهُ عليّ نعمه، ويرزقني شكرها.

١١/٨/٢٠١٩

عزيزتي:

كلّ عامٍ والجمالُ المُرتحل ميمّم شطرَه إليك. سعيد بك، جذل.

اسْعَدي، وقرّي عينًا.. فأنا سعيدٌ.. سعيدٌ لأجل لمعةِ الفرح في عينيك.

مُبارك تخرّجك يا عزيزة. عسى الخيرُ مرهونًا بخطواتك.

(٨٤)

يا غيث:

أحيانًا أتشكك في جدوى كلّ ما أفعل، وأشعرُ بعبثية محاولاتي للنجاة. أمضي وفي داخلي صوتٌ يحرّضني على النكوص ونقض الغزل.

أحيانًا ينتابني الغضب. لمَ أنا بحاجةٍ إلى طبيب؟! لمَ لا تسير حياتي طبيعية بدون حبّات الدواء؟! لمَ أدفع الثمن باهظًا؟!

أتألّم يا عزيز. بيدَ أنّي أمضي بثباتٍ تاركةً تلك الأفكار تمرّ من خلالي دون أن أتشبث بها. أحاول أنْ أرضى بقدري، وأحفل بما أكسبنيه من نضج وأصالة.

١١/١/٢٠٢٠

(٨٥)

عزيزي غيث:

أضربُ قلبي بيدي علّ ذاك الجليد يتكسّر. أستمعُ لنصٍّ جميل علّ ذاك الجليد يذوب. أردّد الشعرَ علّ ذاك المحتضر تضَخّ فيه الحياة. قلبي ذو دقّات رتيبة، وإيقاع مستقيم، مُفتقد زخم المشاعر.

كيف حالُك يا عزيز؟ رغمَ كلّ شيء أفتقدُك في الليالي الحزينة، وأتذكّرك في صمتي التّام، وأهفو لوصْلك ذات حنين.

أحيانًا يخيّل للبعض أنّ التعافي المرْجو يكفلُ لنا حياة مثالية. هو في الحقيقة يهدينا حياةً طبيعيّة يجدل فيها خيط النور والظلمة، الفرح والحزن، الألم والانشراح.

أنا راضية، فما كانَ بالأمس مستحيلًا أصبح اليوم ممكنًا.

١٣/١/٢٠٢٠

(٨٦)

عزيزي غيث:

أخشى القرب؛ في القربِ مَساسٌ بمناطق الوجع، وإحياءٌ لذكراه. البعد يدفن الألم في بئرٍ عميق، فنتلاهَى عنه.. المواجهة ليستْ بالأمر الهيّن.

أتحسّس موضعَ خطواتي في كلّ قرب. أشعرُ أنّ الألم يتربّص بي في كلّ خطوة. ينعتوني بالشّجاعة- وربّما أكون- لأنّي مع خوفي أواصلُ المسير، ولا يقعدني الخوف.

يا عزيز، الحياةُ لا تحفل بالجبناء، بل تفتح ذراعيها لشجعان.

١٩/١/٢٠٢٠

(٨٧)

عزيزي غيث:

أغمضُ عيني محاولةً استنطاق الصمت داخلي.

قلبي يفيضُ سرورًا. أزعمُ أنّي لا أستطيع الكتابة وأنا سعيدة.

المشاعرُ تنساب كنهرٍ رائق داخلي. الحياةُ رحْبة وجميلة على هذه الضّفة.. روحي لو أعطيتُها لونًا سيكون أخضرَ نضرًا، لو أطلقتها لجعلتُها طيرًا يرفرف في الفضاء.

إنّ التفاعلَ الحقيقي مع صديق يحرّك بركة الصمت داخلنا، فلا يمسّنا أسن.

يا عزيزي، نحنُ بحاجةٍ لحديثٍ حقيقي صادق، وأذنٍ ترهف، وقلبٍ يَعي ويتعاطف.

مشاركةُ الألم لا تغيّر من واقعِ وجوده، بيدَ أنّها تجعله أخفّ وطأة، وتجعلنا أكثر قدرة على التّعامل معه، ومن ثمّ الحياة.

٢٠/١/٢٠٢٠

(٨٨)

عزيزي غيث:

بداخلي صراعُ ثيران محْموم، رغبات تناطحُ بعضها بعضًا، وغضب حلّ لجامه.

أنا متألّمة يا عزيز، وهدّني التعب.

أخشى الإفصاحَ بقدر ما أحتاجه. أشعرُ أنّ طبقة جلدي الخارجية منزوعة، فلم أعدْ أحتملُ ذرات الهواء.

لم أعدْ أشعر بحبّ أيّ أحد، ولا بقربِ أحد، بل وأريدُ أن أقطع علاقاتي كلها، ثمّ أنقضُ الغزلَ بعد قوة.

هل تبتسمُ الحياة لي!؟

٢٣/٣/٢٠٢٠

أزعجُ خوفٍ هو الخوفُ من الشعور.(39)

---

(39) تشسترتن

(٨٩)

عزيزي غيث:

ما الذي ينقصّني لأذلل الأحبارَ إليك؟! أشعرُ وكأنّ جزءًا منّي قد مات؛ جزء كان يتنفّس الأحرف ويحيا بها.

أتألّم لهذا النّأي الاختياري في ظاهره، المضطرّ إليه إنْ نظرنا في بواطن الأمور. أسألك بكلّ عزيز عليك: أينَ ذهبت روحي التي تتخلّل الأشياء فتغدو كبعض منها لا يكتب لها التمامُ بدونه؟! لمَ أنا منطفئة؟ وأينَ ذهب كلّ الصّخب في رأسي؟! كل شيء راكدٌ داخلي، وإنْ ألقمتني حجرًا.. لم أعدْ أنفعل، لم أعدْ أثور. لا تجاوز ثورتي قضبانَ صدري.

تعلم.. بتّ أفرح عندما أغضبُ فتتفجر براكينُ غضبي، لأنّني أشعر حينها بإنسانيتي، بأنّي لست حجرًا صلدًا. في العادة ما يظهر غضبي بشكلِ الكآبة والسخرية؛ غضب باردٌ كروحي الغارقة في الصقيع.

أنا متألّمة يا عزيز، الألمُ أصبح كنصلٍ بارد يطعنُ بهدوء، وأستقبل طعناته مبتسمة.

ماذا دهاني يا عزيز؟!

إنّني أدفن مشاعري في أقصى بقعةٍ داخلي، وأنكر عليها حقّها في الوجود.

١٢/٥/٢٠٢٠

(٩٠)

عزيزي غيث:

في اللّحظة التي صرختُ فيها عابّة الهواء مزاحمة بني البشر أحاول أن أجد لنفسي مكانًا بينهم، همستْ نجمة في السماء لإخوتها النّجمات: ها قد ولدتْ مُبدعة ستنال نصيبَها من الويلات، وتصارع الظلمات حتّى تستحيل لرفات.

قالت نجمةٌ أشدّ إشعاعًا من أختها: في تلك اللحظة ستقفُ على مفترق طرق ويحتّم عليها الاختيار؛ أنْ تصاب بلعنةِ المبدعين، أو تبعث من رفاتها مبشّرة للمتألمين.

لحظتَها دبّت الفرقةُ بين النجمات، وكلّ منهنّ تتنبأ أيَّ طريق أختار، وعلى حين غرّة انبرتْ أكثرهنّ حكمة تقول: ستسمع النداء الحقيقي داخلها وتلبّيه.

وها أنا يا عزيزي سمعتُ النداءَ الحقيقي داخلي. ها أنا هنا أمشي طريقي، وعلّني أصل.

٤/٦/٢٠٢٠

(٩١)

عزيزي غيث:

داهمتْني حاجةٌ ملحّة للنحيب، فارتديتُ حجابي، وأخذت بعضَ المحارم الورقية، ثمّ خرجتُ إلى الشرفة.

أينَ الدموع؟ لقد ابتلعتها.

مشاعري هذه الأيام تضطرمُ داخلي، وقلبي يؤلمني بشدة.

أنادي.. يا الله، آمنْ روْعاتي. يا الله، أجرْني. والإجابة تتأخّر، ولا أكفّ عن رفع استغاثاتي القلبية لربّ السماء.

اللهُ معي، واللهُ لن يكلني لنفسي فأضيع. تتساقط دموعي بعدَ كتابة تلك الجملة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(40) الرّحمة ستشملني، موقنةٌ من ذلك. اللهُ أرحم بي منّي.

١٧/٦/٢٠٢٠

---

(40) سورة النساء

(٩٢)

عزيزي غيث:

أحاول البقاءَ على سطح المشاعر، أجاهدُ في الشعور بها دون الانغمار فيها. هناك لمساتٌ تؤلمنا، توجعنا، تنثر الملحَ على جراحنا.

أقول لنفسي: أشعرُ ألمك، أشعرُ خوفك، أشعرُ غضبك. يا عزيزة: لك كلّ الحقّ أن تتألمي وتخافي وتغضبي.

أقول لنفسي: أنتِ عاقلة مسئولة؛ ردًّا على ذاك الصوت الذي يتّهمني بالجنون، ويدفعُني دفعًا لأقتص من ذاتي.

أحاولُ هدهدةَ ألمي كطفلٍ صغير؛ أغنّي له، أحتضنه، وألاعبه.

تقولُ أفكاري: الحياة صعبة، والبشرُ منْزوعو الرحمة، والألم مقصلةً الروح. وأقول: الحياةُ تحتاج جهدًا، ويكفيني عدّةُ أشخاص رحماء، والألم يأخذ مجْراه ويمضي.

قلبي يؤلمُني يا عزيز، ودقّاته تضرب صدري.

١٧/٦/٢٠٢٠

(٩٣)

عزيزي غيث:

أتعلم.. مذْ آخر رسالة أرسلتُها إليك شعرتُ بغضب مُحرق، شعرت أني أخدع ذاتي؛ تخلّى عنّي أصدقائي ومُعالجي، ولم أعدْ أشعر أنّ الله معي.

أتعلم.. شعرتُ أنّي ورقة بالية في مهبّ الريح، تصرفها كيفما شاءت، وأنّي سأجنّ حتمًا.

بكيت.. بكيتُ طويلًا، بكيتُ كثيرًا، بكيتُ حممًا.

أتعلم.. كنت سأرسلُ لصديقاتي إن كنتنّ تحببني كما تدّعون فادْعنّ اللهَ من أجلي.

أتعلم.. في الواقع لم يتخلّ عنّي أصدقائي ولا مُعالجي، لكنّني لم تكن لدي القدرة للشّعور بوجودهم ودعمهم وحبهم.

أتعلم.. بعدما هدأتْ عواصفي عَنَّ لي أن حفظَ الله هو المعية؛ حفظ النفس، والروح، والدين. وأنّ المعيّة ليست مقصورة على الخلاص أو الفرج؛ بثّ هذا الاطمئنانَ في صدري.

٢١/٦/٢٠٢٠

(٩٤)

عزيزي غيث:

لا أدري أيُّ أحرفٍ بوسْعها وصف تلك المأساة؟! أنا معذّبة بمشاعري المتقلبة المتأرجحة ما بين صعودٍ وهبوط؛ أهدأ وأثور، أتألم وأبتهج، أتوهّج وأنطفئ، عشرات المرّات في الساعة الواحدة.

هل تتابعتْ عليك الفصولُ كلّها في ساعة واحدة؟! ذبول، ينوع، صقيع، دفء، زمهرير! قلبي يصطرخ ألمًا، ويرتجف خوفًا.. عظامي تئنّ، ومفاصلي تتأوه، وعضلاتي تستجير.

النومُ يجافيني من فرطِ الألم يا عزيز.

٢٧/٦/٢٠٢٠

(٩٥)

عزيزي غيث:

ألمٌ صَموت؛ يلظيكَ حتّى تفقد القدرةَ على التعبير، وتعجز- وأنتَ الفصيح- عن صياغةِ الأحرف، ويظنّ المارّ بك الناظرُ إليك أنّك كسول متراخٍ تختار ألّا تنهض بأعبائك. كلّهم يا عزيزي ينظرُ من خلالك، لا أحد ينظر إليك.

الألمُ المسبّب مقدّر عن غير المُسبب، والألم المُسبب المعترف به مجتمعيًّا مقدّر عن الألم المسبّب غير المُعترف به مجتمعيًّا. إنّهم يقيمون آلامَك يا عزيز، ويقدرون لك قدرَ التوجّع. إيّاك وخرق معاييرهم أيّها الأخرق، أوتجرؤ؟!

ضمّد جراحَك يا صاح، وقدّر ألمك حقّ قدْره، وامنحْ نفسك حقّها في التوجع، فلنفسك عليك حق.

١/٧/٢٠٢٠

(٩٦)

عزيزي غيث:

هل يستطيع الخائفُ أن يكتب؟! أتخرج حروفُه مستقيمة المعنى؟! ما الجدوى إن لم تكنْ كلماته ترتجف؟!

أنا خائفة. أغرف خوفي، وأحشوه في كلمات.

هذا العالم وحْشي، وأقسى من أنْ تحتمله الطفلة داخلي.

انظر.. الطفلةُ ترتجف. انظر.. الشابّة ترقص وتغني. انظر.. العجوز تعقد خصلاتها الفضية... وثلاثتهن خائفات.

١٠/٧/٢٠٢٠

(٩٧)

عزيزي غيث:

إنّه الفقدُ مرّة أخرى؛ فزّاعتي الكبرى مذ كنت طفلة.

الفقد.. اختبرتُ به الألم الذي يذهلك عن نفسك ويسلبُك الدمع.

الفقدُ بترٌ لأعزّ ما لديك، وربما بترٌ لكلّ ما يجعل منك كائنًا حيًّا.

أنا متألّمة يا عزيز.

ادعُ لي أن يلطفَ اللهُ بي في قابل الأيام.

١٠/٨/٢٠٢٠

(٩٨)

عزيزي غيث:

الفقدُ بتر، والبترُ قاسٍ ومؤلم.

أتحسّس مكانَ الجزء المفقود فأجدُ فراغًا مروّعًا. عين مشرعة على طرف نجاة، وقلب وَجِل، ولسان يناجي يا الله رحمتك.. يا الله لطفك!

وقفتُ بالأمس على حافّة رصيف مترو الأنفاق أنظرُ للقضبان التي فكّرت مرارًا أن ألقي نفسي فوقَها لأزهق روحي. وقفتُ دونَ أن يلحّ ذاك الصوت مرارًا وتكرارًا انتحري.. انتحري.. هيّا اقفزي. اعتبرت ذاك نصرًا وثقته بلقطة.

اليوم عظامي تئنّ وترجف، أتحمّم بماء حارق، وأرتدي ملابسَ شتوية وأتدفأ بدثار ثقيل، ولا تكفّ عظامي عن الارتجاف والأنين.

البرد.. أرقبُه آتٍ من روحي، أرقبُه آتٍ من ذاك الجزء المفقود.

٣٠/٨/٢٠٢٠

(٩٩)

عزيزي غيث:

الحزنُ غازٍ قلبي، مستلبٌ إغضاء جفني.

تغنّي هالة الصباغ (في يوم همست في أذني مَن يمسح عن قلبي حزني يرجعني خضراءَ اللون أعشاشًا للأطيار؟!) أسمعها وتسَّاقط دمعةٌ وحيدة تؤنس تلك الوحشة بين جوانحي.

أنا أتألّم يا عزيز، أنا أخافُ وأرتجف، أنا أنتحب. أنادي: يا الله، أنتَ حسبي. يا الله، ذاك الألم. يا الله، لا تتركني وحدي؛ فأنا أستوحش.

النّار تضرّمت، وأنا أشتعل، أنا أتلظّى.

١٨/٩/٢٠٢٠

في الحضن اعتذارٌ عن بشاعة العالم.(41)

(١٠٠)

عزيزي غيث:

دقّت ساعةُ الحنين، دقّت ساعة الألم؛ ألمُ الفقد!

أنا أتلظّى ألمًا كلّ ليلة؛ وكأنّ الليل يمدّ النارَ المشتعلة داخلي بالحطب.

البكاء طقسٌ تطهيري. وأنا أحتاجُه لأحيا.

ها أنا أبكي فقْدي كلّ ليلة، وأثور وأتألم، ثمّ أكفكف دموعي وأخلد للنوم.

نحتاجُ حضنًا يحتوينا وآلامَنا، نحتاج كتفًا نريح عليه رؤوسنا، وتضنّ الحياة.

٦/١٠/٢٠٢٠

(١٠١)

عزيزي غيث:

أصابني الخرس، وانمحتِ الحروف، فلم تعدْ تتقافز هناك داخل عقلي.

يعنّ لخاطري بيتُ أبي فراس:

أوصيك بالحزن لا أوصيك بالجلد

جلّ المصاب عن التعنيف والفند

وأنا يا عزيزُ ما فتئت أحزنُ وأتألم وأغضب، ويشاركني جسدي مشاعري كلّها فيئنّ ويمرض.

أنا خائفة، أشعرُ بالخوف هنا في أنحاء جسدي؛ إنّه نار تحرقني من الداخل.

الآنَ أعرفُ لمَ انْمحت الأحرف، أعرفُ لم أصبتُ بالخرس؛ إنّهما الخوف والألم.

٣١/١٠/٢٠٢٠

(١٠٢)

يا غيث:

ذاك الألمُ عصيّ على التّقييد بالأحرف؛ إنّه بثقلِ جبل أسيرُ به فيحني كتفي وظهري، والأمَرُّ أنّ ما من أحدٍ يلحظه.

خرجتُ اليوم وألمي وخوفي نسيرُ في الطّرقات ليلًا؛ إنّها عادتي مذ أيام خلت أمشي وأذرفُ الدّمع في الشوارع، وأنادي الله، وأجأر: يا الله، لا تتركني وحْدي.. يا الله، ليس لي سواك.

تلك الحياةُ أقسى من احْتمالي يا عزيز، وأنا كلّ متني من فرط الثقل، والعوز، والسير، وقرع الأبواب.

ألمُ رأسي فتّاك، وأوجاعُ أوتار يدي ما تلبثُ أن تبرأ فتعاودُها العلّة.

٢٥/١١/٢٠٢٠

(١٠٣)

عزيزي غيث:

كيف أنتَ يا صاح؟ تمرّ الأيامُ والليالي ولا أنفكّ أفكّر بك، وبالكتابة إليك، غيْر أنّي ما ألبثُ أبدأ الرسالة حتى أكفّ عمّا بدأت.

متألّمة ذلك الألم الذي يورثُ الصّمت، ويزهد صاحبه بالتماس الرفقة أو الدفء. إنني أسيرُ مع اللحظات كيْفما سارت، ولا أنكرُ أنّي أصنع بذاك النهر الرّاكد- أيّامي- دواماتٍ ودوائرَ تزدادُ في الاتّساع يومًا بعد يوم. وكما تعرف يبقى النهرُ نهرًا مهْما تحرّكت مياهُه ولا يزمجر. وأنا أرغبُ الأمواج، وأحبّ ركوبَ الخطر، ذاك ما يشعرني بالحياة بعدَما فقدتِ الحياة- كلُّ الحياة- بهجتَها ومسرّاتها.

عندما أفكّر في الجنةِ لا تغريني الآمالُ العريضة، كلّ ما أرجوه هناك أن أستظلّ بشجرةٍ عتيقةٍ وأرتاحَ تلك الراحة الأبدية بعدَ ذاك السفر الطويل.

أيعني هذا أنّ الجنة وطن؟!

٨/١/٢٠٢١

(41) الكاتبة

غَيْث

لحظةُ غُلّقت أبوابُ الدنيا كلّها بوجهي، خرجتُ من عيادة الطبيبة أبكي في الطرقات، قارعة باب السماء، فساقَ الله ألطافه وهدَى عقلي لفكرة، فكان ميلاد شخصية غيث.

أفضيتُ إليه بما اعترَكَ بين أضلعي وأثقلَ ظهري.

وعندما لاحَ بصيصُ ضوء، خَططتُ رسائلَ على لسانه، جدلت الظلمة بالنور.

غيث؛ محاولة للتمسّك بطرف نجاة، وتدعيم لروح التحدّي والعناد، وإصرار على الحياة رغمَ أنف الموت.

غلاف : إسلام مجاهد

978-977-278-296-5

Elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.net
01012355714-01152806533
www.darelbasheer.com

دار البشير

t.me/twinkling4